عناصر القوة
في حياة شيخ الإسلام



ومنهجه في التأليف

تأليف

أ.د.عبدالله بن عمر الدميجي

أستاذ العقيدة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة



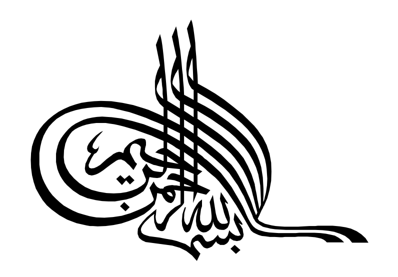




عناصر القوة في حياة شيخ الإسلام ابن تيمية
ومنهجه في التأليف







مُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألَّا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين.

أما بعد:

فإن من خصائص هذا الدين وميزاته العظيمة، ومن المبشرات التي تزرع الأمل في قلوب الغيورين علىٰ دين الله وحرماته، وتقطع وسائل الظن السيئ ـ ظن الجاهلية ـ الذي قد يرد أحيانًا علىٰ بعض الأذهان من اليأس والقنوط من رحمة الله عز وجل في عودة راية القرآن خفاقة مرة أخرىٰ علىٰ كل ديار المسلمين.

تلك الخاصية وهذه الميزة هي البشارة الربانية الموعود



بها من الله، عز وجل، بحفظ هذا الذكر العظيم وبقائه إلىٰ قيام الساعة، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحِجر: ٩]، والتي بشَّر بها النبي ﷺ بقوله: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين علىٰ الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم، حتىٰ يأتي أمر الله وهم كذلك**»(١).

ولولا هذه الحماية الربانية والوعد الإلهي لانْدَرَسَتْ معالم هذا الدين وانمحت آثاره من كثرة ما وجه إليه من سهام الحرب بشتىٰ أنواعها منذ بداية إعلان النبي ﷺ هذا الدين وتبليغه، وإلىٰ ساعتنا هذه.

بل ومع ذلك فلا يزداد الهجوم علىٰ الإسلام و أهله إلا ويزداد الإسلام ثباتا ورسوخا، ويكون ذلك مدعاة ليقظة أهله من سباتهم إذا غفلوا، ومن نومهم إذا رقدوا.

ومن معالم بقاء هذا الدين واستمراره إلىٰ قيام الساعة:

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٣/ ١٥٢٣ حديث ١٩٢٠، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي».



أولاً: عامل الكمال والشمول وما أودعه الله سبحانه وتعالىٰ في هذا الدين من خصائص تجعله صالحا ومصلحا لكل زمان ومكان، لأن الله عز وجل جعل هذه الرسالة هي خاتمة الرسالات، ومعنىٰ ذلك أن الأمة لن تحتاج بعد نبيها ولا بعد كتاب ربها إلىٰ شيء سواه، قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣]، قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا: «أكمل لهم الدين، فلا يحتاجون إلىٰ زيادة أبدًا، وقد أتمه الله عز ذكره فلا ينقصه أبدًا، وقد رضيه الله فلا يَسْخَطه أبدًا»(١).

ثانيـًا: عامل الحراسة والحماية لهذا الدين، والتجديد لمعالمه إذا انْجَفل عنه الناس وتشوهت معالمه أو انْدَرَست.

فإن الله عز وجل قد تكفل لهذه الأمة بأن يبعث لها في كل عصر وزمان رجالا تزكو نفوسهم بالعلم الشرعي، وتستضيء بنوره الإلهي، فيحيون ما اندرس من الدين، ويعيدون من حاد إلىٰ الصراط المستقيم، يحفظون علىٰ الأمّة دينها وعزها

(١) تفسير الطبري (٩/ ٥١٨).



وكرامتها، ويرفعون مشاعل الهداية والقيادة للأمة في مسيرها، وينصبون مصابيح السعادة على طريق المسيرة إلى الحياة السعيدة في الدنيا والآخرة[١].

ولذا فإن من رحمة الله تعالى بهذه الأمة أن الله تعالى يقيض لها في كل عصر تنحرف فيه عن الجادة من يحفظ عليها أصول دينها بالعمل على نفي: «تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين» كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ[٢].

---

(١) ابن القيم الجوزية حياته وآثاره. للشيخ د. بكر أبو زيد (ص ٨).

(٢) هذا جزء من حديث «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين». رواه البيهقي في دلائل النبوة ـ(١ / ٤٤) وابن وضاح في البدع والنهي عنها (ص١) والخطيب في شرف أصحاب الحديث (ص٢٩) وابن عدي في الكامل (١/ ١٥٣) كلهم عن إبراهيم بن عبد الرحمن مرسلا، وذكر ابن وضاح وابن عدي في رواية، أن إبراهيم قال: «حدثني الثقة من أشياخنا عن النبي ﷺ، وورد من طرق أخرى مرفوعا، عن ابن عمر وأبي هريرة وابن مسعود وأسامة بن زيد ومعاذ بن جبل وأبي أمامة وعلي ابن أبي طالب، انظر: كشف الأستار(١/ ٨٦) =



وهؤلاء هم العدول من حملة هذا الدين وحماته. هذه رسالتهم، وهذه مهمتهم ووظيفتهم التي نذروا أنفسهم لتحقيقها حتىٰ حفظ الله تعالىٰ بهم الدين، كما وعد ﷺ وبشر في الحديث المتقدم بأنه: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين لا يضرهم من خذلهم إلىٰ أن يأتي أمر الله وهم كذلك**»(١).

وقد دلَّ هذا الحديث علىٰ أمور غاية في الأهمية، منها:

١ – أن هذا الدين باق إلىٰ قيام الساعة، تقوم عليه طائفة من المؤمنين، وأنه لن تخلو الأرض من قائم لله تعالىٰ فيها بحجة.

٢ – أن ظهور هذه الطائفة الباقية لا يلزم أن يكون بالسلاح والسنان دائمًا وإنما بالحجة والبرهان أيضًا.

٣– أنه في مقابل ظهور هذه الطائفة فهناك المخذِّلون

=

والكامل(١/ ١٥٢-١٥٣) وشرف أصحاب الحديث (ص٢٩،٢٨) وقد قال مهنا بن يحيىٰ لشيخه الإمام أحمد عن هذا الحديث: «كأنه موضوع» فقال أحمد: «لا، هو صحيح» انظر: شرف أصحاب الحديث (٢٩) وصححه الألباني في مشكاة المصابيح – (١ / ٨٢).

(١) تقدم تخريجه قريبا.



لهم، وهناك المخالفون، ولكن لم ولن يضرهم ذلك شيئًا، ولن يمنع ظهورهم.

ومنهم المجدِّدون الذين عناهم النبي ﷺ في الحديث المشهور المعروف: «**إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة عام من يجدِّد لها أمر دينها، أو يجدد لها دينها**»(١).

ولفظ (مَنْ) في هذا الحديث قد يقع على الواحد وقد يقع على الجمع، كما قد قرر غير واحد من أهل العلم من شرّاح الحديث أن التجديد يعمّ حملة العلم من كل طائفة، وكل صنف من أصناف العلماء من المفسرين والفقهاء والنحاة واللغويين.. إلخ(٢).

(١) رواه بهذا اللفظ أبو داوود في سننه بإسناد صحيح، كتاب الملاحم ـ باب ما يذكر في قرن المائة. ٤٢٩١(٤/ ١٠٩) والطبراني في المعجم الأوسط ٦٥٢٧ (٦/ ٣٢٤) المستدرك على الصحيحين للحاكم ٨٥٩٢ (٤/ ٥٦٧) وسكت عنه الذهبي في التلخيص، وصححه الألباني، انظر حديث رقم: ١٨٧٤ في صحيح الجامع.

(٢) ينظر: شرح النووي على مسلم (١٣/ ٦٧) فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٢٩٥).



وهذه الطائفة هم الذين عناهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ، في مقدمة كتابه: الرّدّ علىٰ الجهمية بقوله: «يدعون من ضلَّ إلىٰ الهدىٰ ويصبرون منهم علىٰ الأذىٰ، يحيون بكتاب الله الموتىٰ، ويُبَصِّرون بنور الله أهل العمىٰ، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم علىٰ الناس وما أقبح أثر الناس عليهم»(١).

وشاهد ذلك واضح جلي لمن تتبّع مراحل التجديد في تاريخ الإسلام الخالد.

ولهذا يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «لولا ضمان الله بحفظ دينه وتكفّله بأن يقيم له من يجدد أعلامه ويحيي ما أماته المبطلون وينعش ما أخمله الجاهلون لهدمت أركانه وتداعىٰ بنيانه، ولكن الله ذو فضل علىٰ العالمين»(٢).

---

(١) الرد علىٰ الجهمية والزنادقة (ص ٥٥) وذكره ابن وضاح في البدع والنهي عنها(ص٣) مسندا إلىٰ عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) مدارج السالكين (٣/ ٧٩).



فالعلماء هم ورثة الأنبياء الذين يصلحون البلاد والعباد، فموتهم وفقدهم وفسادهم فساد لنظام العالم، ولهذا لا يزال الله يغرس في هذا الدين منهم خالفا عن سالف، يحفظ بهم دينه وكتابه وعباده.

قال ﷺ في حديث أبي عَنَبَة الخولاني: «**لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرسا يستعملهم في طاعته**»(١).

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ معلقا على حديث التجديد: «والتجديد إنما يكون بعد الدروس وذاك هو غربة الإسلام، وهذا الحديث يفيد المسلم أنه لا يغتم بقلة من يعرف حقيقة الإسلام، ولا يضيق صدره بذلك، ولا يكون في شك من دين الإسلام، كما كان الأمر حين بدأ»(٢).

وهنا نشير إلى أن مصطلح التجديد من المصطلحات

---

(١) رواه أحمد في المسند من حديث أبي عنبة ١٧٧٨٧(٢٩/ ٣٢٥) وابن ماجه في سننه [واللفظ له] ـ باب اتباع سنة رسول الله ﷺ (١/ ٥) وحسنه الألباني، في السلسلة الصحيحة ٢٤٤٢(٥/ ٥٧١).

(٢) مجموع الفتاوى (١٨/ ٢٩٧).



الشرعية التي تلاعبت به الأهواء، كما تلاعبت بغيره من المصطلحات، فمعناه الشرعي في هذا الحديث هو: «قفو الأثر، وإحياء السنن، والتوجُّه مع الدليل، وإصلاح ما رثّ من حال الأمة بالعودة إلىٰ كتاب ربها وسنة نبيها ﷺ»[(١)].

فالتجديد ذو مفهوم عام شامل لكل ما يعمّ نفعه وتظهر فائدته للإسلام والمسلمين، لا ما نسمعه الآن من دعوات تنادي باستحداث مفاهيم جديدة لهذا الدين غير التي كان عليها سلف هذه الأمة من صحابة رسول الله ﷺ والتابعين والأئمة المقتدىٰ بهم، تنادي بتجديد الفقه وتجديد أصوله، أو التجديد في موازين قبول السنة، أو التفكير الديني، أو التجديد في الخطاب الديني، وغيرها من عبارات قد يكون ظاهرها مقبولاً، إلا أنها تخفي في باطنها ومقاصدها غير ذلك، من دعوات تهدم الدين ولا تجدده، وتضر بالمسلمين.

ومما لا شك فيه أن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

(١) المداخل إلىٰ آثار شيخ الإسلام ابن تيمية وما لحقها من أعمال. لبكر بن عبد الله أبو زيد (ص٣٨).

تعالىٰ وتلامذته الذين حملوا اللواء من بعده شكَّلوا نهضة تجديدية ودعوة إصلاحية بكلّ معاني التجديد ومفاهيم الإصلاح التي مرّت في تاريخ أمتنا المجيد.

وقد خرّجت تلك المدرسة رجالًا أفذاذا برزوا في كل جانب، وقاموا في الإسلام مقاما حميداً؛ فمحَّصوا الوقائع وحرّروا النوازل وعالجوا كبريات القضايا الإسلامية في العقيدة والفقه وغيرها، وكافة علوم الشريعة، فأخرجوا للناس علما جمّا وفكرا خصبا جاريا علىٰ أسعد القواعد وأرشد المناهج، وردوا الناس إلىٰ الاستقاء من المصدر الأول والمنبع الأصيل كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فكان لهذه المدرسة أكبر الأثر في مسيرة الإسلام علىٰ مرّ العصور والأجيال بعدهم، فجزاهم الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء والوفاء[١].

وقد تم اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالىٰ من بقيّة الشخصيات المؤثرة والمجددة والنافعة في تاريخ

---

(١) ينظر: ابن القيم حياته وآثاره، بكر أبو زيد (ص١٠).



أمتنا المجيد، لا علىٰ اعتبار أنه أفضل أو خير ممن سبقه، ففي كُلٍّ خير ـ والحمد لله ـ ولكن لبعض الاعتبارات الأخرىٰ التي من أهمها:

أولًا: سلامة المنهج الذي سلكه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالىٰ، ودعوته الجادة والصادقة للعودة بالأمة إلىٰ مصدر عزها وقوتها، إلىٰ كتاب ربها وسنة نبيها ﷺ علىٰ فهم سلف الأمة الصالح وأئمتها، وقد برزت ثمار ونتائج هذا المنهج، وهذه العودة في الأمة من بعده إلىٰ عصرنا الحاضر، ولله الحمد، فالعالم الإسلامي بأسره ما زال يتفيأ ظلالها، ويتدثر بأهدابها في كل أصقاعه، بفضل الله عز وجل[١].

---

(١) توفي شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قبل أكثر من سبعمئة عام في السجن من أجل دينه وعقيدته ودعوته، واليوم نجد الدول العظمىٰ والصغرىٰ بجيوشها واستخباراتها ومراكز بحوثها وجامعاتها ترتجف فرقا من دعوة هذا الإمام، وتنفق مليارات الدولارات لمحاربة هذا الفكر وتعد البحوث والدراسات والرسائل الجامعية لدراسة شخصية هذا الإمام وفكره؛ وما ذاك إلا لأنه اجتهد في إعادة الأمة إلىٰ دينها وصفاء عقيدتها وعبادتها وسلوكها المستقىٰ من الكتاب والسنة وما =

=

عليه سلف الأمة وأئمتها، ومن صور هذا الاهتمام أنه بعد مقاومة الجزائريين وجهادهم الاستعمار الفرنسي الطويل، وحرب «المليون شهيد» كما تُسمىٰ، قام الفرنسيون بدراسة أسباب هذه القوة والمنعة عند الجزائريين التي أبت عليهم القبول بالمحتلّ الفرنسي مع قوة السلاح والعتاد، ومع كل وسائل الإغراء والتهديد وغير ذلك من الأمور، ولم تُجْدِ تلك الوسائل شيئا البته، فقامت فرنسا ـ كعادة الغرب في الاهتمام بأمورهم ـ بالدراسة والبحث عن العوامل المؤثرة والرابطة بين هذه العناصر القيادية في المجتمع الجزائري التي أبت الخضوع والخنوع للمحتل بعد اتخاذ جميع الوسائل الممكنة لإخضاعه، وكان يقود ذلك الجهاد وتلك المقاومة العلماء أمثال: عبد الحميد بن باديس والإبراهيمي ومبارك الملي وغيرهم من قيادات علمية عملية إصلاحية جهادية ميدانية، فوجدوا أن مرجعيتهم بعد الكتاب والسنة كانت كتب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، فكانت هذه الكتب مما يتداول ويتدارس بين تلك القيادات، وكان لها أثرها في هذا الصمود وشحذ الهمم والتثبيت.

وليس هذا راجعا إلىٰ هذه الكتب ذاتها، ولا إلىٰ ابن تيمية بشخصه، وإنما لما فيها من تأصيل شرعي قائم علىٰ الكتاب والسنة، يحيي في الناس العزة والقوة لدين الله عز وجل والاعتماد علىٰ كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، فقام الفرنسيون بإنشاء مركز مهمته جمع ما يمكن من تراث ابن تيمية الموجود علىٰ وجه الأرض لدراسة هذه الشخصية المؤثرة =



ثانيـًا: مدىٰ التشابه ـ بل يكاد يصل إلىٰ التطابق إلىٰ حد كبير ـ بين عصرنا الذي نعيشه وعصر شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ الذي قاد المسيرة الإصلاحية فيه.

ومن أهم أوجه الشبه المتعددة:

أولًا: الغزو الصليبي للعالم الإسلامي، وهذا عامل مشترك بين عصر ابن تيمية - رحمه الله تعالىٰ ـ وبين عصرنا الحاضر.

ثانيا: ظهور التتار[1] واجتياحهم العالم الإسلامي، وسقوط أكثر عواصم بلاد المسلمين في أيديهم، وهؤلاء

=

فجمعوا ما أمكنهم، من جميع أقطار الدنيا من تركيا وغيرها، وفرّغوا فريقا من كبار المستشرقين في ذلك الوقت بقيادة المستشرق المشهور: «هنري لاوست» لدراسة هذا التراث، فقام بدراستها واستنباط عناصر القوة فيها، واستخرج من ذلك مجموعة من الكتب، ومنها: «نظرية ابن تيمية في السياسة والاجتماع» وهو كتاب مطبوع في مجلدين.

(١) هم شعب المغول، من منغوليا شرق سيبيريا علىٰ حدود الصين، اختلطوا بقبائل الترك حتىٰ إن بعضهم يجعلهم منهم لما بينهم من تشابه كبير.



يمثلهم العلمانيون في عصرنا الحاضر، لأنهم في آخر أمرهم صاروا يظهرون الإسلام، لكنهم لا يتورعون عن الموبقات، وسنوا تشريعات وضعية، ألزموا الناس بالتحاكم إليها بدل الشريعة الإسلامية، فهم أول من سن التشريع الوضعي في بلاد المسلمين.

ثالثًا: سقوط الخلافة العباسية في بغداد، واضمحلال دورها، وانفراط عقدها، وسقوط هيبتها.

رابعًا: ظهور الباطنية والرافضة، واجتياحهم لكثير من بلاد المسلمين، حتىٰ أصبحوا هم الذين يمثلون الإسلام وينادون باسمه.

خامسا: ظهور الفتن والاقتتال بين المسلمين(١).

لهذه ولغيرها كانت هذه العجالة لإلقاء الضوء علىٰ بعض العناصر الإيمانية والعلمية والعملية والخُلقية لرائد هذه النهضة التجديدية (شيخ الإسلام ابن تيمية)؛ لحاجتنا

(١) ينظر في توصيف تلك المرحلة: الكامل في التاريخ، لابن الأثير (٨/ ٤٤٨ فما بعدها) وهو شاهد عيان لتلك الأحداث.



إلىٰ إبراز نماذج المصلحين وأهل الاقتداء والتأسي من علماء هـذه الأمـة المجـددين ليكـون نبراسًـا للـسالكين في مـسيرة الـدعوة والإصـلاح وطلـب العلـم بعيـدًا عـن مـدارس الغلـو والجفاء أو التميع والانسياب مع الأفكار الوافدة التي تعصف بعقول شبابنا والله المستعان.

سائلًا المولىٰ عز وجل أن يسلك بنا جميعًا سبيل العلماء العاملين والهداة المهديين، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

الباحث

عبد الله بن عمر الدميجي

مكة المحروسة في ٢٩/ ٢/ ١٤٣٩هـ

البريد الإلكتروني: dumigi@hotmail.com



العنصر الأول

النشأة في بيئة صالحة

لقد مَنَّ الله علىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية ببيئة صالحة ومحضن أمين، ترعرع منذ نعومة أظفاره في بيت علم ودين، فأبوه الشهاب المتوفىٰ سنة ٦٨٢هـ شيخ حران من بلاد الشام وخطيبها ومفتيها[(١)]. وجده المجد المتوفىٰ سنة ٦٥٢هـ، الذي قال عنه ابن مالك النحوي: «أُلين له الفقه كما أُلين الحديد لداود عليه السلام»[(٢)].

وأمُّه ست النعم بنت عبد الرحمن بن علي بن عبدوس، عمرت فوق السبعين، وتوفيت سنة ٧١٦هـ[(٣)].

وأخواه: شمس الدين عبد الله المتوفىٰ سنة ٧٢٧هـ، وزين الدين عبد الرحمن المتوفىٰ سنة ٧٤٧هـ أيضًا كانا من العلماء، وسيأتي الكلام عليهما في بعض المواقف.

---

(١) العبر (٣/ ٣٤٩).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢٣/ ٢٩٢).

(٣) البداية والنهاية (١٤/ ٧٩).



وله أخ لأم وهو بدر الدين أبو القاسم محمد بن خالد الحرَّاني المتوفى سنة ٧١٧هـ وكان عالما فقيها إماما[١].

نشأ شيخ الإسلام في هذا الجو العلمي في المدة مابين ٦٦١ إلى ٧٢٨هـ، وعاش ما يقارب ٦٧ سنة رحمه الله تعالى، تلقى العلم عن أكثر من مئتي شيخ كلهم دماشقة[٢].

لذلك كان لهذه النشأة في هذا الجو العلمي أثرها الإيجابي في بناء شخصية ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ العلمية والإيمانية، كما سيأتي.

ومن المعلوم أن من توفيق الله تعالى للحدَث وطالب العالم أن يتربى وينشأ في بيت علم أو على يد عالم من أهل السنة من أهل بيته أو من غيرهم.

كما قال أيوب السختياني : «إن سعادة الحدث والأعجمي أن يوفقهما الله تعالى لعالم من أهل السنة» وقال

(١) شذرات الذهب (٦/ ٤٥).

(٢) العقود الدرية (ص٦٤) والرد الوافر (ص٧٠).





ابـن شـوذب : «إن مـن نعمـة الله علىٰ الـشاب إذا تنـسَّك أن يؤاخي صاحب سنة يحمله عليها» وقال يوسف بن أسباط: «كان أبي قدريا وأخوالي روافض، فأنقذني الله بسفيان»[١].

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٦٦).





العنصر الثاني

القوة العقلية والبدنية

ومع تلك البيئة العلمية الصالحة فقد رزقه الله عز وجل قوة في البدن واعتدالًا، وقوة في الحفظ والذكاء،وقوة في التأثير علىٰ القلوب، فقد كان جَهْوَرِي الصوت مؤثرًا علىٰ قلوب سامعيه، قال عنه مترجموه: إنهم كانوا يتعجبون من تأثير تكبيره في الصلاة إذا كبّر وفي قراءته، كان يؤم الناس لصلاة التراويح فيعلوه عند القراءة من الخشوع والرِّقة والتأثير والمهابة ما يأخذ بألباب سامعيه(١).

يقول ابن الوردي المتوفىٰ سنة ٧٤٩هـ: «وَكنت اجْتمعت بِهِ رَحمَه الله تَعَالَىٰ بِدِمَشْق سنة خمس عشرَة وَسَبْعمائة بمسجده بالقصاعين وبحثت بَين يَدَيْهِ فِي فقه وَتَفْسِير وَنَحْو فأعجبه كَلَامي وَقبل وَجْهي، وإني لأرجو بركَة ذَلِك، وَحكىٰ لي عَن واقعته الْمَشْهُورَة فِي جبل كسروان، وسهرت عِنْده لَيْلَة فَرَأَيْت من فتوته ومروءته ومحبته لأهل الْعلم وَلَا سِيمَا

(١) المداخل إلىٰ آثار شيخ الإسلام، أبو زيد (ص٢٠).



الغرباء مِنْهُم أمرا كثيرا، وَصليت خَلفه التَّرَاوِيح فِي رَمَضَان فَرَأَيْت علىٰ قِرَاءَته خشوعا، وَرَأَيْت علىٰ صلَاته رقة خاشعة تَأْخُذ بِمَجَامِع الْقُلُوب.!»(١)

كما آتاه الله قوة في الحفظ والذكاء وسرعة البديهة التي وهبها الله له، قلّ ما حفظ شيئا فنسيه، كان يحفظ المحلىٰ ٢٠ مجلداً، وأول محفوظاته من الحديث ـ يعني بعد القرآن ـ الجمع بين الصحيحين للحميدي، كان يمرُّ بالكتاب مطالعة مَرَّة فينتقش في ذهنه، وينقله إلىٰ مصنفاته بلفظه ومعناه(٢).

بدأ التأليف وعمره سبع عشرة سنة، أفتىٰ في هذا السن وقعد للتدريس وعمره تسع عشرة سنة.

سأل رجل علاء الدين البسطامي عن ابن تيمية كيف كانت صفته؟ قال: هل رأيت قبة الصخرة ؟ قال: نعم، قال: كان كقبة الصخرة ملئت كتبا ولها لسان ينطق!(٣).

---

(١) تاريخ ابن الوردي، المسمىٰ: تتمة المختصر في أخبار البشر، في ترجمته لشيخ الإسلام (٢/ ٢٧٦).

(٢) الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية (ص ١٨).

(٣) الجواهر والدرر، للسخاوي (١/ ١١٧).



العنصر الثالث
قوة البناء العلمي وتأصيله

وهذه القوة الموهوبة من الله تعالىٰ من غير اكتساب استثمرها ابن تيمية، رحمه الله تعالىٰ، في بنائه العلمي حتىٰ آتت أكلها، يقول عنه الذهبي: «ما رأيته إلا ببطن كتاب»[١].

ويقول الصفدي: «حكىٰ لي من سمعه أنه يقول: إني وقفت علىٰ ١٢٠ تفسيرا أستحضر من الجميع الصحيح الذي فيها»[٢].

وقال عن نفسه كما في الفتاوىٰ : «قد طالعت التفاسير المنقولة عن الصحابة وما أوردوه من الحديث، ووقفت من ذلك علىٰ ما شاء الله من الكتب الصغار والكبار أكثر من مئة تفسير فلم أجد إلىٰ ساعتي هذه أحداً من الصحابة أنه تأول شيئا من آيات الصفات»[٣].

---

(١) معجم الشيوخ الكبير للذهبي (١/ ٥٦).

(٢) الوافي بالوفيات (٧/ ١١).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (٦/ ٣٩٤)



وهذه نتيجة استقراء تام منه، رحمه الله تعالىٰ.

وقال عنه ابن عبدالهادي في العقود الدرية[١]: «ربما طالعت علىٰ الآية الواحدة نحو مئة تفسير ثم أسأل الله الفهم، وأقول: يا معلم آدم وإبراهيم علمني، وكنت أذهب إلىٰ المساجد المهجورة ونحوها وأمرغ وجهي في التراب، وأسأل الله تعالىٰ وأقول: يا معلم إبراهيم فهمني»[٢].

وكان رحمه الله تعالىٰ يقيم ما يسمىٰ باليوم العلمي في عصرنا الحاضر، فهذا ابن عبد الهادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: إنه اجتمع ابن تيمية علىٰ القاضي إمام الدين الشافعي وعامة الناس يوم السبت رابع عشر من الشهر من بكرة النهار إلىٰ نحو الثلث من ليلة الأحد فقرؤوا الفتوىٰ الحموية كاملة[٣].

---

(١) اختلف في اسم الكتاب، وهذا هو المشهور وإن كان قد رجّح محققُه د. محمد السيد الجليند أن اسمه الصحيح، كما في المخطوطة (الانتصار في ذكر أحوال قامع المبتدعين وآخر المجتهدين تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية) مقدمة تحقيق الكتاب (ص٨).

(٢) العقود الدرية (ص٤٢).

(٣) المصدر نفسه (ص٢٥٣-٢٥٨).





وقد بلغ به الحال في حبّ القراءة والشّغف بها أنه لا يجد الراحة إلا فيها، بل كان استشفاؤه عند مرضه بها، فنقل تلميذه ابن القيم عنه رحمهما الله تعالىٰ قوله: «ابتدأني مرض فقال لي الطبيب: إن مطالعتك وكلامك في العلم يزيد المرض. فقلت: لا أصبر عن ذلك، وأنا أحاكمك إلىٰ علمك، أليست النفس إذا فرحت وسُرَّت قويت الطبيعة فدفعت المرض ؟ قال: بلىٰ. فقلت له: إن نفسي تُسَرُّ بالعلم فتقوىٰ به الطبيعة، فأجد الراحة، فقال: هذا خارج عن علاجنا». [١]

وقد تنوعت المصادر والفنون عنده في التعليم في التفسير وعلوم القرآن والسنة والفقه وأصوله وأصول الدين والفرق والأديان والمذاهب و واللغة والحساب والفلك والتاريخ.. إلىٰ غير ذلك من الفنون، وأخذ عن أكثر من مئتي شيخ كلهم دماشقة، وجلُّهم من الحنابلة،كما تقدم.

❁❁❁❁

(١) روضة المحبين (ص٧٠).





العنصر الرابع

قوة البناء العملي (الإيماني والتعبدي)

قوته العملية في العبادة والذكر والتوكل علىٰ الله عز وجل والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة، والجدّ والتشمير في العمل، فتلك المواقف لا تأتي من فراغ فلا يمكن أن يملك الإنسان هذه القوة والعزيمة إلا بقوة الزاد والصلة بالله عز وجل والعلاقة والحبل المتين بينه وبين الله عز وجل، تحدث عن ذلك من ترجم له، وذكروا عنه من العبادة والزهد والورع والتعلق بالله تعالىٰ والتوكل عليه ما لا يكاد يوصف، فكان ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في أشد حالات الإيذاء والمضايقة تجده في أشد حالات التوكل والثقة بالله عز وجل، ولما جاءه خبر نفيه إلىٰ الإسكندرية وقيل له: هم عاملون علىٰ قتلك أو نفيك أو حبسك، قال كلمته المشهورة التي تقدم ذكرها في العنصر العاشر.

يذكر عنه ابن القيم أنه، يقول: «الذكر للقلب مثل الماء للسمك، فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء»، وقال: حضرت شيخ الإسلام ابن تيمية مرة صلىٰ الفجر ثم جلس



يذكر الله تعالىٰ إلىٰ قريب من انتصاف النهار ثم التفت إليّ وقال: «هذه غدوتي، ولو لم أتغدّ الغداء سقطت قوتي»[(١)].

وقال عنه أيضا: «علم الله ما رأيت أحدا أطيب عيشا منه قط مع ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف الرفاهية والنعيم، بل ضدها، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشا وأشرحهم صدرا وأقواهم قلبا وأسرهم نفسا، تلوح نظرة النعيم علىٰ وجهه، وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون وضاقت بنا الأرض أتيناه، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله وينقلب انشراحا وقوة ويقينا وطمأنينة»[(٢)].

بل إنه لا يستعين علىٰ حلِّ المعضلات والمشكلات العلمية إلا بالاستغفار واللجأ إلىٰ الله تعالىٰ وطلب العون منه عز وجل، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنه ليقف خاطري في المسألة أو الشيء أو الحاجة التي تشكل علي فأستغفر الله ألف مرة أو

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص٥٣-٥٤).

(٢) المصدر نفسه (ص٤٨).



أكثر أو أقل حتىٰ ينشرح الصدر وينحلّ إشكال ما أشكل... قال: وأكون في ذلك في السوق أو المسجد أو المدرسة لا يمنعني ذلك من الذكر أو الاستغفار إلىٰ أن أنال مطلوبي»[١].

ويعلل ذلك بقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإذا كان القلب معمورا بالتقوىٰ انجلت له الأمور وانكشفت؛ بخلاف القلب الخراب المظلم، وكلما قوي الإيمان في القلب قوي انكشاف الأمور له، وعرف حقائقها من بواطلها، وكلما ضعف الإيمان ضعف الكشف، وذلك مثل السراج القوي والسراج الضعيف في البيت المظلم؛ ولهذا قال بعض السلف في قوله: (نور علىٰ نور) قال: هو المؤمن ينطق بالحكمة المطابقة للحق وإن لم يسمع فيها بالأثر، فإذا سمع فيها بالأثر كان نورا علىٰ نور»[٢].

ومصداق ذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وقوله تعالىٰ: ﴿يَآأَيُّهَا

(١) الأعلام العلية (٣٧-٣٨) وينظر إعلام الموقعين (٤/ ١٣٢).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٢٠/ ٢٩).



ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الأنفال: ٢٩].

في مقابل ذلك كان من أشد الناس إخفاء لعمله الصالح، وكان أخوه القائم على شؤونه أشد الناس تعظيما للشيخ، وكان يجلس بحضرته كأن على رأسه الطير، وكان يهابه كما يهاب سلطانا، فقيل في ذلك ـ وإن من العرف والعادة أن أهل الرجل لا يحتشمونه كالأجانب، بل يكون انبساطهم معه ـ فقال: إني أرى منه أشياء لا يراها غيري، أوجبت أن أكون معه كما ترون، وكان يُسَأل عن ذلك فلا يذكر منها شيئا لما يعلم من عدم إيثار الشيخ لذلك[1].

(١) الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية (ص ٥٥).



العنصر الخامس
قوة البناء الوقائي

وذلك بضبط النفس والسيطرة عليها وحمايتها من الالتفات إلىٰ ملاذ الدنيا ومشاغلها.

فلا لذة عنده أكبر من نشر العلم وتدوينه والعمل به والدعوة إليه وإقامة دين الله عز وجل، والوقوف أمام المفسدين في الأرض علىٰ اختلاف انحرافاتهم وفسقهم وفجورهم، ومن مظاهر هذه القوة:

أولا: رفضه للمناصب والولايات، فقد عرض عليه قازان إمارة (حران) فرفض[١] وعرضت عليه رئاسة القضاء والمشيخة فقال: «يقوم بها غيري؛ أما نشر العلم وتصحيح الاعتقاد، ورد الناس إلىٰ الله ورسوله ﷺ فالناس أحوج ما يكونون إليه»[٢].

---

(١) العقود الدرية (٢٨١).

(٢) الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون (ص ٢٤).



ومن هذه العبارة نستطيع أن نحدد ملامح وأهداف مشروعه الإصلاحي:

١- نشر العلم

٢- تصحيح الاعتقاد

٣- ردّ الناس إلىٰ الله ورسوله، ﷺ.

لسان حاله يردد ما قاله ابن حزم رَحِمَهُ اللهُ حين قال[١]:

مناي من الدنيا علوم أبثُّها وأنشرها في كل باد وحاضر
دعاء إلىٰ القرآن والسنن التي تناسىٰ رجال ذكرها في المحاضر

ولذلك قال: «ترك أهل العلم لتبليغ الدين كترك أهل القتال للجهاد، وترك أهل القتال للقتال الواجب عليهم كترك أهل العلم للتبليغ الواجب عليهم كلاهما ذنب عظيم»[٢].

ومما يُبيِّن خطورة الصدارة والمناصب علىٰ الدِّين وحرص السلف علىٰ تجنب ما يدنّسه، مقولة عمر لأُبيّ بن كعب، رضي الله تعالىٰ عنهما، لما قال له أبي: مالك لا

(١) سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٠٦).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٢٨/ ١٨٨).



تستعملني؟ فقال: «أكره أن يُدَنَّس دينك!!»[(١)].

ولما وَشَىٰ به بعض حسّاده إلىٰ السلطان الناصر، وقالوا إنه يطلب الملك، وإنه دائما يلهج بذكر ابن تومرت[(٢)] فأحضره السلطان بين يديه وقال له من جملة كلامه: «إني أخبرت أنك أطاعك الناس، وأن في نفسك أخذ الملك» فلم يكترث به، بل قال بنفس مطمئنّة وبصوت سمعه كثير ممن حضر: «أنا أفعل ذلك؟! والله إن ملكك وملك المغول لا يساوي عندي فلسين، فتبسم الملك وقال: والله إنك لصادق

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الحديث (٣/ ٢٤١).

(٢) محمد بن عبد الله بن تُومَرْتَ المحمودي، قدم في صغر سنة من بلاد المغرب إلىٰ بغداد،فاشتغل بالعلم علىٰ الغزالي وغيره،و كان يظهر التعبد والزهد والورع في ابتداء أمره، وكان يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر،ثم لقب نفسه بالمهدي القائم بأمر الله وقاتل ابن تاشفين في المغرب، إلىٰ أن مات سنة ٥٢٤هـ تقريبًا واستمر تلميذه عبد المؤمن بن علي في قتال ابن تاشفين إلىٰ أن أنهىٰ دولة المرابطين السنية، وأنشأ دولة (الموحدين) المعتزلية في المغرب في سنة ٥٤٢هـ.البداية والنهاية(١٦/ ٢٤٥-٢٤٨).وشجرة النور (١/ ١٤٠) ووفيات الأعيان (٢/ ٣٧).





وإن الذي وشىٰ بك إلي كاذب»[١].

ثانيًا: رفضه للأعطيات؛ لأنه رَحِمَهُ اللَّهُ يعلم أنه إذا أخذت اليد ضعفت مقاومة الباطل، واهتز موقف الناصح، والتاريخ خير شاهد علىٰ ذلك، لذا فقد رفض، رحمه الله تعالىٰ، الأعطيات حتىٰ اليسيرة، ومن ذلك أنه لما سافر مع البريد للقاهرة وحض علىٰ الجهاد ـ وسيأتي الكلام عليها بعد قليل ـ فرتب له مرتّبًا فرفضه، وأخيراً أهدي له بقجة من قماش فردّها ولم يأخذها[٢].

ثالثا: قناعته بالقليل الذي يسد حاجته علىٰ يد أخيه شرف الدين وهو القائم علىٰ شؤونه، وذلك لعلمه أن حبّ العلم وإشغال القلب والبدن بالمال وجمعه والمكاثرة فيه لا يجتمعان، فكلما منحت هذا من جهدك ووقتك، ضاع من ذاك ما يقابله[٣]، ولذلك كان يقول: «وليس لي ما أخاف الناس عليه، لا مدرسة ولا إقطاع ولا مال ولا رئاسة ولا شيئا

(١) الأعلام العلية (٧٢-٧٣).

(٢) المصدر نفسه (ص٧٠)، والبداية والنهاية (١٤/ ٤٣).

(٣) المداخل (ص٣٠).





من الأشياء»[١].

ولعل العدل في ذلك ما أشار إليه نفسه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: «فرق بين من يكون الدين مقصوده والدنيا وسيلة، وبين من تكون الدنيا مقصودة والدين وسيلة، والأشبه أن هذا ليس له في الآخرة من خلاق»[٢].

رابعا: إيثاره مصالح دينه والمصالح العامة علىٰ ملاذّ دنياه ومصالحه الخاصة، فكان يؤثر المصالح العليا من مصالح الدين العظام ومصالح الأمة الجسام علىٰ مصالحه الشخصية، يقول في ثنايا رسالته الرقيقة التي ملأها حبّا وعطفا وشوقا لأمه رحمهما الله: «ولا يظن ظان أنا نؤثر علىٰ قربكم شيئا من أمور الدنيا، بل ولا نؤثر من أمور الدين ما يكون قربكم أرجح منه، ولكن ثمَّ أمور كبار نخاف الضرر الخاص والعام من إهمالها، والشاهد يرىٰ ما لا يرىٰ الغائب»[٣].

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٣/ ٢٥٩).

(٢) المصدر نفسه (٢٠/ ٢٦).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (٢٨/ ٤٨) ويُذكر أن هناك رسالة من أمه ردت بها علىٰ رسالته بأسلوب راق جدا لكنها غير موجودة في مؤلفاته المطبوعة حسب علمي.





فهو يعتذر لأمه من بعده عنها، بأن المصلحة العليا، مصلحة الدين ومصلحة الأمة هي التي أجبرتني علىٰ هذا البعد والفراق.

هذه بعض الإجراءات التي اتخذها شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ حماية لنفسه من الانشغال بالذي هو أدنىٰ عن الذي هو خير، وليتفرغ بكلية إلىٰ ما يرضي ربه ومولاه، لا يشغله عن ذلك شاغل.

وهذه الحماية مهمة جدًا لمن رام الصلاح والإصلاح وسعىٰ لتحقيق قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢- ١٦٣].

❁❁❁❁





العنصر السادس

قوة البناء الخُلقي

فقد كان آية في التواضع ولين الجانب، ومحبة المؤمنين، فيذكر تلميذه البار البزّار شيئا مما رآه منه وشاهده من سيرته في تعامله فيقول: «وأما تواضعه فما رأيت ولا سمعت بأحد من أهل عصره مثله في ذلك، كان يتواضع للكبير والصغير والجليل والحقير، والغني الصالح والفقير، وكان يدني الفقير الصالح ويكرمه ويؤنسه ويباسطه بحديثه المستحلىٰ زيادة علىٰ مثله من الأغنياء حتىٰ إنه ربما خدمه بنفسه وأعانه بحمل حاجته، جبرا لقلبه وتقربا بذلك إلىٰ ربه.

وكان لا يسأم ممن يستفتيه أو يسأله، بل يقبل عليه ببشاشة وجه ولين عريكة، ويقف معه حتىٰ يكون هو الذي يفارقه كبيرا كان أو صغيرا رجلا أو امرأة، حرّا أو عبدا عالما أو عاميا حاضرا أو باديا، ولا يجبهه ولا يحرجه ولا ينفِّره بكلام يوحشه، بل يجيبه ويفهمه ويعرفه الخطأ من الصواب بلطف وانبساط»[١].

---

(١) الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية (ص ٥٠).



وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يحبُّ ويوالي عموم المسلمين، بل يرىٰ أن من أعظم خَبَثِ القلوب أن يكون في قلب العبد غلٌّ للمؤمنين[(١)].

وكان للنساء نصيب من اهتمامه وعنايته، ومن الأمثلة علىٰ ذلك ما كان منه مع أم زينب بنت عباس بن أبي الفتح المتوفاة يوم عرفة عام (٧١٤هـ) رحمها الله وهي الشيخة الصالحة العابدة، يذكر الحافظ ابن كثير أنها كانت تحضر مجلس تقي الدين ابن تيمية فاستفادت منه.. قال: «وقد سمعت الشيخ تقي الدين يثني عليها ويصفها بالفضيلة والعلم، ويذكر عنها أنها كانت تستحضر كثيراً من المغني أو أكثره، وأنه كان يستعد لها من كثرة مسائلها، وحسن سؤالاتها وسرعة فهمها»[(٢)].

وممن اشتغل بالتحديث بكتب العقيدة السلفية من أسرة ابن بخيخ الحرانية التي استفادت من ابن تيمية وقامت بنصرته أم محمد زينب بنت عمر بن سعد الله حيث حدّثت

---

(١) ينظر: منهاج السنة (١/ ٢٢).

(٢) البداية والنهاية (١٤/ ٧٢).



بكتاب الرد علىٰ الجهمية لعثمان بن سعيد الدارمي عن أبيها وعمها وغيرهما...»[١].

كما كان للمرضىٰ نصيب من اهتمامه وزياراته، قال عنه البزار: «كان كل أسبوع يعود المرضىٰ خصوصا الذين في البيمارستان»[٢] -أي المشفىٰ- ولا يخفىٰ ما في زيارة المرضىٰ من المصالح والفوائد الدنيوية والأخروية للزائر والمزور علىٰ حد سواء، وهو الذي يقول: «العارف لا يرىٰ له علىٰ أحد حقا، ولا يشهد علىٰ غيره فضلا، لَا يُعَاتِبُ، وَلَا يُطَالِبُ، وَلَا يُضَارِبُ»[٣].

ولهذا ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ أَن العبد كلما زيد فِي علمه زيد فِي تواضعه وَرَحمته، وَكلما زيد فِي خَوفه وحذره وَكلما زيد فِي عمره نقص من حرصه وَكلما زيد فِي مَاله زيد فِي سخائه وبذله وَكلما زيد فِي قدره وجاهه زيد فِي قربه من

---

(١) توضيح المشتبه لابن ناصر الدين (١/ ٣٧٠)، وينظر علاقة الأسرة ونصرتها لابن تيمية وإفادتها منه: البداية والنهاية (١٨/ ٢٣٧).

(٢) الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية (ص ٤١).

(٣) مدارج السالكين (١/ ٥١٩).



النَّاس وَقَضَاء حوائجهم والتواضع لَهُم، وعلامات الشقاوة أَنه كلما زيد فِي علمه زيد فِي كبره وتيهه، وَكلما زيد فِي عمله زيد فِي فخره واحتقاره للنَّاس وَحسن ظَنّه بِنَفسِهِ، وَكلما زيد فِي عمره زيد قي حرصه، وَكلما زيد فِي مَاله زيد فِي بخله وإمساكه، وَكلما زيد فِي قدره وجاهه زيد فِي كبره وتيهه، وَهَذِه الْأُمُور ابتلاء من الله وامتحان يَبْتَلِي بهَا عباده فيسعد بهَا أَقوام ويشقىٰ بهَا أَقوام، وَكَذَلِكَ الكرامات امتحان وابتلاء كالملك وَالسُّلْطَان وَالمال، قال تعالىٰ عن نبيه سليمان ـ لما رأىٰ عرش بلقيس عِنْده ـ: ﴿هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ﴾ [النمل: ٤٠]، فالنعم ابتلاء من الله وامتحان يظْهر بهَا شكر الشكُور وَكفر الكفور كما أَن المحن بلوىٰ منه سبحانه، فهو يَبْتَلِي بِالنعَم كما يَبْتَلِي بالمصائب[١].

وقال الشيخ علاء الدين الباجي ـ وهو من طبقة شيوخ ابن تيمية، وكان عالما فحلا يعظِّمه العلماء ويبجِّلونه ـ قال مرَّة لشيخ الإسلام: «تكلم نبحث معك، قال ابن تيمية: مثلي

(١) الفوائد (ص ١٥٥)





لا يتكلم بين يديك، أنا وظيفتي الاستفادة منك»(١).

ومع ما عرف عنه رَحِمَهُ اللَّهُ من التواضع ولين الجانب مع الموافق ومع المخالف إلا أنه يخرج عن هذا الأصل أحيانًا إلىٰ الإغلاظ علىٰ مخالفيه ورفع الصوت أحيانًا، وذلك حسب الحاجة ومن باب (وضع الشيء في موضعه المناسب) ولما عوتب في ذلك قال: «ما ذكرتم من لين الكلام والمخاطبة بالتي هي أحسن فأنتم تعلمون أني من أكثر الناس استعمالاً لهذا، ولكن كلّ شيء في موضعه حسن، وحيث أمر الله ورسوله ﷺ بالإغلاظ علىٰ المتكلم لبغضه وعدوانه علىٰ الكتاب والسنة، فنحن مأمورون بمقابلته لم نكن مأمورين أن نخاطبهم بالتي هي أحسن..»(٢).

وتأكيداً علىٰ قاعدة: (إن الحسن وضع الشيء في مكانه المناسب) يضرب لذلك مثلاً فيقول: «من وضع العمامة علىٰ الرأس، والنعلين في الرجلين فقد وضع كل شيء موضعه،

---

(١) طبقات الشافعية (١٠/ ٣٣٩).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٣/ ٢٣٢).





ولم يظلم النعلين»(١).

فلكل مقام مقال

كما قال المتنبي:

ووضع الندىٰ في موضع السيـف بالعلا

مضرٌّ كوضع السيف في موضع الندىٰ(٢)

ومِن أجمل ما قيل في تعريف الحكمة، قول ابن القيم: «فعل ما ينبغي، علىٰ الوجه الذي ينبغي، في الوقت الذي ينبغي»(٣).

---

(١) جامع الرسائل لابن تيمية (١/ ١٣٠).

(٢) انظر: يتيمة الدهر للثعالبي (ص٢٥١).

(٣) مدارج السالكين (٢/ ٤٤٩).



العنصر السابع

قوة العطاء والنفع العام للناس

بعدما تبين ما أتاه الله تعالىٰ من قوة في نفع نفسه بالعلم والتحصيل وكل ما يكتمل معه بناء الشخصية السوية، نجده يتجاوز ذلك إلىٰ تبني نفع الناس والانتصاب لخدمتهم بكل ما أوتي من وسائل النفع. وتقدم في العنصر السابق وفي رسالته إلىٰ أمه شيء من ذلك.

ويقرر هذا العنصر بقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «من أحبّ أن يلحق بدرجة الأبرار ويتشبه بالأخيار فلينو في كل يوم تطلع فيه الشمس نفع الخلق، فيما يسَّره الله تعالىٰ من مصالحهم علىٰ يده، وليطع الله في أخذ ما حل، وترك ما حرم، وليتورع عن الشبهات ما استطاع، فإن طلب الحلال، والنفقة علىٰ العيال باب عظيم لا يعدله شيء من أعمال البر»(١).

ويقول الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «له محبون من العلماء والصالحين

(١) الإيمان الأوسط (شرح حديث النزول) (ص٦٠٩).





والجند والأمراء ومن التجار والكبراء، وسائر العامة تحته لأنه منتصب لنفعهم ليلا ونهارا بلسانه وقلمه»(١).

ولم يقتصر ذلك على المسلمين فقط، بل تفاوض مع الصليبين في فكّ الأسرى عند القدس، فأطلقوا له الأسرى المسلمين، فقال: «لا، بل وحتى أهل ذمتنا من اليهود والنصارى، فلم يزل كذلك حتى أطلقوهم»(٢).

وكان يقول: «السعادة في معاملة الخلق: أن تعاملهم لله فترجو الله فيهم ولا ترجوهم، وتكف عن ظلمهم خوفًا من الله لا منهم»(٣).

وقال ابن القيم رحمه الله: «كان شيخ الإسلام يسعى في حوائج الناس سعيًا شديدًا، لأنه يعلم أنه كلما أعان غيره أعانه الله، وليس للقلب أنفع من معاملة الناس باللطف وحبّ الخير لهم، فإن معاملة الناس بذلك؛ فإما أجنبي فتكتسب

---

(١) العقود الدرية (ص١٧٨).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٦١٧).

(٣) المصدر نفسه (١/ ٥١).



مودته ومحبته، وإما صاحب وحبيب فتستديم علىٰ صحبته ومودته، وإما عدو مبغض فتطفئ بلطفك جمرته وتستكفئ شرّه، ومن حمل الناس علىٰ المحامل الطيبة وأحسن الظن بهم سلمت نيته، وانشرح صدره، وعوفي قلبه، وحفظه الله من السوء والمكاره»[١] وسيأتي مزيد من الوقائع في عنصر جهاده وتعامله مع الولاة.

في مقابل ذلك يقول: «فأعظم ما يكون العبد قدرًا وحرمة عند الخلق إذا لم يحتج إليهم بوجه من الوجوه، فإن أحسنت إليهم مع الاستغناء عنهم كنت أعظم ما يكون عندهم، ومتىٰ احتجت إليهم ولو في شربة ماء نقص قدرك عندهم بقدر حاجتك إليهم، وهذا من حكمة الله ورحمته ليكون الدين كله لله ولا شريك له»[٢].

وتقرير ذلك أنه كان من تربية النبي ﷺ لأصحابه لحمل الدين عنه بعده أن بايعهم علىٰ ألا يسألوا الناس شيئا، فكان

(١) مدارج السالكين (٢/ ٥١١).
(٢) مجموع الفتاوىٰ (١/ ٣٩).



سوط أحدهم يسقط فلا يقول لغيره: ناولني إياه[(١)].

وهذه الخصال من علامات توفيق الله للعبد؛ فيجعله الله (ملجئا للناس) يفرج همًّا وينفِّس كربا، ويقضي دينا، ويعين ملهوفا، وينصر مظلوما، وينصح حائرا، وينقذ معسرا، ويهدي عاصيا، وغير ذلك، فهذا من إكرام الله لعبده واختياره له، يقول ﷺ: «**إن من الناس ناسا مفاتيح للخير مغاليق للشر**»[(٢)]، ويقول عليه الصلاة والسلام: «**خير الناس أنفعهم للناس**»[(٣)].

فطوبىٰ لمن جعل الله الخير علىٰ يديه.

واعلم أن مثل هذا لا يخزيه الله أبدا، فمن أحسن إلىٰ عباد الله كان الله إليه بكل خير أسرع، ومعلوم خبر خديجة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا حين جاءها النبي ﷺ مرتجفا مما رأىٰ عند غار

---

(١) صحيح مسلم- باب كراهة المسألة للناس ١٠٤٣ (٢/ ٧٢١).

(٢) رواه ابن ماجة- بَابُ مَنْ كَانَ مِفْتَاحًا لِلْخَيْرِ ٢٣٧ (١/ ٨٦) وقال الشيخ الألباني: (حسن) انظر حديث رقم: ٢٢٢٣ في صحيح الجامع.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط- ٥٧٨٧ (٦/ ٥٨) وحسنه الألباني، انظر: صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٧٠٩).



حراء، فقالت له: «كلا والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين علىٰ نوائب الحق»(١).

وبمثل هذا رفع الله ذكر شيخ الإسلام، كما قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما ارتفع الرجل بكثرة الصلاة والصيام، وإنما يرتفع الرجل بسخاء النفس، وسلامة الصدر، والنصح للأمة»(٢). فكيف بمن جمع بين كثرة العبادة وهذه الخصال.

وقيل: «أفضل العلماء من جاء في أوانه وقضىٰ حاجة زمانه» وكذلك كان شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ويصف لنا أحد الذين نفعهم الله تعالىٰ بما كتب ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ ومدىٰ انتفاعه بشيخ الإسلام الذي يسميه (إمام

---

(١) رواه البخاري ـ كتاب بدء الوحي ـ كيف كان بدء الوحي إلىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ ٣ (١/ ٧) ومسلم ــ كتاب الإيمان ــ بَابُ بَدْءِ الْوَحْيِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ١٦٠ (١/ ١٤١).

(٢) شعب الإيمان (١٣/ ٣١٦).



الدنيا) فيقول عبد الله بن حامد من بغداد: «وكنت قبل وقوفي علىٰ مباحث (إمام الدنيا) رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد طالعت مصنفات المتقدمين، ووقفت علىٰ مقالات المتأخرين من أهل الفلسفة ونظار أهل الإسلام؛ فرأيت منها الزخارف والأباطيل والشكوكات التي يأنف المسلم الضعيف في الإسلام أن يخطرها بباله، فضلا عن القوي في الدين، فكان يتعب قلبي ويحزنني ما يصير إليه الأعاظم من المقالات السخيفة والآراء الضعيفة التي لا يعتقد جوازها آحاد العامة.

وكنت أفتش علىٰ السنة المحضة في مصنفات المتكلمين من أصحاب الامام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ الخصوص لاشتهارهم بالتمسك بمنصوصات إمامهم في أصول العقائد، فلا أجد عندهم ما يكفي.

وكنت أراهم يتناقضون إذ يؤصلون أصولا يلزم فيها ضد ما يعتقدونه، ويعتقدون خلاف مقتضىٰ أدلتهم، فإذا جمعت بين أقاويل المعتزلة والأشعرية وحنابلة بغداد وكرامية خراسان أرىٰ أن إجماع هؤلاء المتكلمين في المسألة الواحدة علىٰ ما يخالف الدليل العقلي، والنقلي فيسوؤني

ذلك، وأظلّ أحزن حزنا لا يعلم كنهه إلا الله، حتىٰ قاسيت من مكابدة هذه الأمور شيئا عظيما، لا أستطيع شرح أيسره.

وكنت ألتجئ إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ وأتضرع إليه وأهرب إلىٰ ظواهر النصوص، وألقي المعقولات المتباينة والتأويلات المصنوعة لِنُبُوِّ الفطرة عن قبولها.

ثم قد تشبثت فطرتي بالحق الصريح في أمهات المسائل، غير متجاسرة علىٰ التصريح بالمجاهرة قولا وتصميما للعقد عليه حيث لا أراه مأثورا عن الأئمة وقدماء السلف، إلىٰ أن قدر الله سبحانه وقوع مصنف الشيخ الإمام (إمام الدنيا) رحمه الله في يدي قبيل واقعته الأخيرة بقليل، فوجدت ما بهرني من موافقة فطرتي لما فيه، وعزو الحق إلىٰ أئمة السنة وسلف الأمة، مع مطابقة المعقول والمنقول، فبهتُّ لذلك سرورا بالحق، وفرحا بوجود الضالة التي ليس لفقدها عوض، فصارت محبة هذا الرجل رحمه الله محبة ضرورية يقصر عن شرح أقلها العبارة ولو أطنبت»(١).

(١) العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (ص ٥١٨).



فهذا أحد نماذج التأثير الذي كان لابن تيمية رحمه الله ومشروعه الإصلاحي.

ويقول الصفدي إنه كان يسأله عن كثير من مسائل الفلسفة والعويصة فيجيب، ويقول: «وَكَانَ إِذا رَآنِي قَالَ أيش حس الإيرادات؟ أيش حس الْأَجْوِبَة؟ أيش حس الشكوك؟ أَنا أعلم أَنَّك مثل الْقدر الَّتِي تغلي تَقول: بق بق بق أَعْلَاهَا أَسْفَلهَا وأسفلها أَعْلَاهَا لازمني تنْتَفع، وَكنت أحضر دروسه وَيَقَع لي فِي أَثْنَاء كَلَامه فَوَائِد لم أسمعها من غَيره، وَلَا وقفت عَلَيْهَا فِي كتاب، رَحمَه الله تَعَالَىٰ»(١).

أما ابن القيم رحمه الله فقد عبّر عن انتفاعه بابن تيمية بأبياته الشهيرة ضمن النونية(٢):

يا قوم والله العظيم نصيحة ... من مشفق وأخ لكم معوان

جرّبت هذا كلّه ووقعت في ... تلك الشباك وكنت ذا طيران

حتىٰ أتاح لي الإله بفضله ... من ليس تجزيه يدي ولساني

---

(١) الوافي بالوفيات (٧/ ١٥).

(٢) نونية ابن القيم (ص ١٤٣).



حبر أتىٰ من أرض حران فيا ... أهلا بمن قد جاء من حران

فالله يجزيه الذي هو أهله ... من جنة المأوىٰ مع الرضوان

أخذت يداه يدي وسار فلم يرم ... حتىٰ أراني مطلع الإيمان

ورأيت أعلام المدينة حولها ... نزل الهدىٰ وعساكر القرآن

ورأيت آثارا عظيما شأنها ... محجوبة عن زمرة العميان

ووردت رأس الماء أبيض صافيا ... حصباؤه كلآلئ التيجان

ورأيت أكوازا هناك كثيرة ... مثل النجوم لوارد ظمآن

أما من استفاد منه من المعاصرين فيفوق الحصر.

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي: قال الشيخ بهجت البيطار رحمهما الله: «حدثني بعض علماء الأزهر قالوا: «درسنا كتب التوحيد في الأزهر فنشأت في نفوسنا شكوك وشبهات، وكدنا نخرج من الإسلام إلا أننا طالعنا كتب شيخ الإسلام ابن تيمية فغرست الإيمان في قلوبنا من جديد»[(١)].

(١) مذكرات سائح في الشرق العربي (ص٢٣١) ويُنظر كلام الشيخ محمد رشيد رضا في مجلة المنار(٨/ ٦١٤) العدد(١٦) شعبان ١٣٢٣هـ.





العنصر الثامن

قوته في استثمار الوقت فيما ينفع وحرصه على ذلك

والبعد عن الهزل فضلا عن سافل الأخلاق التي لا تليق بأهل العلم.

فكان رَحِمَهُ اللَّهُ محافظا على الوقت منذ صغره، كانت حياته مليئة بالعمل، إما بقراءة أو تدريس أو تأليف أو أمر بمعروف ونهي عن منكر أو مناظرة أو ردّ على المخالفين أو جهاد في سبيل الله أو غير ذلك من الأمور، ويستغل كل فرصة تتاح له فيما ينفع، ويُذكر أن أباه وأخاه وأهله وآخرين من أحبابه، سألوه أن يروح معهم يوم سبت ليتفرج، فهرب منهم وما ألوى عليهم ولا عرّج، فلما عادوا آخر النهار لاموه على تخلُّفه، وتركه لاتّباعهم وما انفرد به من تكلُّفه، فقال: «أنتم ما زيد لكم شيئًا ولا تجدد، وأنا حفظت في غيبتكم هذا المجلد، وكان ذلك كتاب «جَنَّة الناظر وجُنّة المناظر»[١].

(١) أعيان العصر وأعوان النصر (١/ ٢٣٦).



وسأل ابن القيم رحمه الله تعالىٰ شيخه عن بعض المباح، فقال: «هذا ينافي المراتب العالية، وإن لم يكن تركه شرطا في النجاة». أو نحو هذا من الكلام.

فالعارف يترك كثيرا من المباح إبقاء علىٰ صيانته. ولا سيما إذا كان ذلك المباح برزخا بين الحلال والحرام»(١).

ولذلك كانت مجالسه عامرة بالخير، لا يجرؤ المغتابون علىٰ غشيانها، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «كَانَ شَيْخُنَا ـ قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ ـ شَدِيدَ التَّجَنُّبِ لِذَلِكَ، وَدَلَلْتُ مَرَّةً بِحَضْرَتِهِ عَلَىٰ مُفْتٍ أَوْ مَذْهَبٍ، فَانْتَهَرَنِي وَقَالَ: مَا لَكَ وَلَهُ؟ دَعْهُ»(٢).

ونقل عنه ابن عبد الهادي أنه لما دخل الحبس ـ أي شيخ الإسلام ـ وجد المحابيس مشتغلين بأنواع من اللعب، يلتهون بها عما هم فيه كالشطرنج والنرد ونحو ذلك من تضييع الصلوات، فأنكر الشيخ ذلك عليهم أشد الإنكار، وأمرهم بملازمة الصلاة والتوجه إلىٰ الله بالأعمال الصالحة

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٢٨).

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٤/ ١٥٩).





والتسبيح والاستغفار والدعاء، وعلّمهم من السنّة ما يحتاجون إليه، ورغّبهم في أعمال الخير، وحضّهم على ذلك حتى صار الحبس بما فيه من الاشتغال بالعلم والدين خيرا من كثير من الزوايا والربط والخوانق والمدارس، وصار خلق من المحابيس إذا أطلقوا يختارون الإقامة عنده، وكثر المترددون إليه حتى كان السجن يمتلئ منهم[١].

❀❀❀❀

(١) العقود الدرية في ذكر مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية لابن عبد الهادي (ص٣٣٠ - ٣٣١).





العنصر التاسع

قوته في المواقف الجهادية والاحتسابية

فكان إماما في الجهاد ومثالا في الشجاعة و قوة القلب وصدق اليقين بوعد الله عز وجل في وقت ذهبت فيه قلوب الرجال.

جاهد النصارىٰ يوم فتح عكا مع المسلمين وعمره آنذاك ٣٠ سنة.

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ له دور عظيم في وقعة شقحب سنة ٧٠٢ هـ التي هزم فيها التتار، فإنه لما رأىٰ عند بعض المسلمين شيئا من التردد والشبهة بسبب ما أظهره بعض التتار من الإسلام قام رَحِمَهُ اللَّهُ وبيّن حقيقة ما هم عليه ومشروعية قتالهم، ثم قال: «إذا رأيتموني من ذلك الجانب وعلىٰ رأسي المصحف فاقتلوني»[(١)] فتشجع الناس في قتالهم وزالت الشبهة وقويت

(١) البداية والنهاية (١٤/ ٢٨) وانظر فتواه في التتار ومشروعية قتالهم، مجموع الفتاوىٰ (٢٨/ ٥٠٠ فما بعدها).



قلوبهم، وحث علىٰ القتال حتىٰ امتلأت دمشق والبلد بالناس الوافدين وازدحمت المنازل والطرق، وخرج ابن تيمية صبيحة يوم الخميس من باب القصر بمشقة كبيرة وصحبته جماعة كبيرة يشهد القتال بنفسه وبمن معه، فظن بعض الرعاع أنه خارج للفرار فقالوا: أنت منعتنا من الجفل وها أنت ذا هارب من البلد؟ فلم يرد عليهم إعراضًا عنهم وتواضعًا، ومضىٰ في طريقه إلىٰ ميدان المعركة، وأفتىٰ الناس بالفطر مدة قتالهم، وأفطر هو أيضًا، وكان يدور علىٰ الأجناد والأمراء فيأكل من شيء معه في يده ليعلمهم أن إفطارهم ليتقووا به علىٰ القتال أفضل من صيامهم. (١)

وكان يحلف للأمراء والأجناد: إنكم هذه المرة منصورون، فيقول له الأمراء قل: إن شاء الله، فيقول: إن شاء الله تحقيقًا لا تعليقًا(٢).

أما الرافضة فكانوا يتحصنون في جبال الجرد

---

(١) البداية والنهاية (١٤/ ٢٨).

(٢) المصدر نفسه.



والكسروانيين، فذهب إليهم ابن تيمية سنة ٧٠٤هـ ومعه جماعة فاستتابوا خلقا منهم ونصحوا وبيّنوا ودعوهم وألزموهم بشرائع الإسلام، ورجع خلق كثير منهم إلى الحق[١].

وفي سنة ٧٠٥هـ خرج إليهم ومعه طائفة من الجيش ونائب السلطان، وقاتلوا من امتنع من الدخول في شرائع الإسلام والرضوخ لها.

وله مواقف جهادية كثيرة يطول الكلام فيها.

أما قوته الاحتسابية، فقد كانت حياته رَحِمَهُ اللَّهُ قائمة على الاحتساب[٢] بكل أنواعه العلمية والعملية والقولية والقلبية كما عبّر عنها بلسانه.

فأنكر على بعض الذين يتقاعسون عن الأمر بالمعروف

---

(١) البداية والنهاية (١٤/ ٣٥) وينظر: منهاج السنة(١/ ٥٨-٦٦).

(٢) ينظر: احتساب ابن تيمية على المتدينة، مقال بقلم د. عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف، منشور في مجلة البيان: العدد (٢٩٠) وتاريخ: شوال ١٤٣٢هـ.



والنهي عن المنكر متذرعين بأن ذلك فرار من الفتنة، والواقع أنهم فروا من فتنة متوهمة إلىٰ فتنة متحققة، فقال: «وأقوام ينكلون عن الأمر والنهي عن المنكر الذي يكون به الدين، وتكون كلمة الله هي العليا لئلا يفتنوا، وهم قد سقطوا في الفتنة»[١].

كما أنكر علىٰ مَن يقابلهم من المتهورين المتجاوزين الحدود المشروعة في الأمر والنهي فقال: «فإن كثيرًا من الآمرين الناهين قد يتعدىٰ حدود الله؛ إما بجهل وإما بظلم، وهذا باب يجب التثبت فيه، وسواء كان ذلك الإنكار علىٰ الكفار والمنافقين والفاسقين والعاصين...» إلىٰ أن قال: «وما أكثر ما يصور الشيطان ذلك بصورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله، ويكون من باب الظلم والعدوان»[٢].

ثم بيّن أن الأمر أمران: «أمر فيه حيلة فلا تعجز عنه، وأمر

(١) الاستقامة (٦/ ٢٩٠)، ومجموع الفتاوىٰ (٢٨/ ١٦٧).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١٤/ ٤٨١) فما بعدها.



لا حيلة فيه فلا تجزع منه»[(١)]، وقال: «وكثير من الناس إذا رأى المنكر أو تغير كثير من أحوال الإسلام جزع وناح كما ينوح أهل المصائب، وهو منهي عن هذا، بل هو مأمور بالصبر والتوكل والثبات على دين الإسلام»[(٢)].

كما نبَّه إلى أمر غاية في الخطورة وهو أن بعض المحتسبين المنكرين للبدع والمحدثات «نجدهم مقصرين في فعل السنن من ذلك والأمر به، فلا ينهى عن منكر ويأمر بمعروف يغني عنه كما يؤمر بعبادة الله سبحانه وينهى عن عبادة ما سواه، والنفوس خلقت لتعمل لا لتترك، وإنما الترك مقصود لغيره، فإن لم يشتغل بعمل صالح وإلا لم يترك العمل السيئ أو الناقص»[(٣)].

فلذا لا ينبغي أن ينهى عن منكر وأمر مبتدع إلا ويبين السنة البديلة والحث عليها. فيغلق باب البدعة ويفتح باب

(١) مجموع الفتاوى (٨/ ٣٢٠)، (١٤/ ٣٩).

(٢) المصدر نفسه (١٨/ ٣٨).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٦١٧).



السنة، لا يكون همه غلق الأبواب فقط دون فتحها.

هذا في الجانب التنظيري للاحتساب، أما الجانب التطبيقي فكتب التاريخ والتراجم مليئة بالحوادث والأمثلة.

ومن ذلك ما ذكره الحافظ ابن كثير في سنة ٦٩٩هـ من أن ابن تيمية وأصحابه داروا على الخمارات والحانات فكسروا آنية الخمور وعزروا جماعة من أهل الحانات ففرح الناس بذلك[١].

ومن ذلك تكسير العمود المخلق بدمشق وإتلافه[٢]، والذي كان الإمام النووي رحمه الله في وقته يدعو الله في أن يقيم لدينه رجلًا يكسر العمود المخلق[٣]، لما تعسر عليه إزالته. يقول الشيخ شرف الدين أخو شيخ الإسلام: «فكسرناه ولله الحمد، وما أصاب الناس من ذلك إلا الخير، والحمد لله وحده». لما أشاعوا أنه سيصيب مَن تمتد إليه يده الأذى..

(١) البداية والنهاية (١٤/ ١٢).

(٢) الجامع لسيرة ابن تيمية (ص١٣٤ - ١٣٥).

(٣) المصدر نفسه (ص١٣٥).





وأيضًا ما ذكره الحافظ ابن كثير أنه في رجب (٧٠٤هـ):

«راح الشيخ تقي الدين ابن تيمية إلىٰ مسجد النارنج وأمر أصحابه ومعهم حجارون بقطع صخرة كانت هناك بنهر قلوط تزار وينذر لها فقطعها وأراح الناس منها دون الشرك بها، فأزاح عن المسلمين شبهة كان شرها عظيمًا»[(١)].

وقد ذكر الشيخ إبراهيم بن أحمد الغياني عددًا من حوادث تكسير شيخ الإسلام الأصنام بيده رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فصل: فيما قام به ابن تيمية وتفرد به، وذلك من تكسير الأحجا...[(٢)].

(١) البداية والنهاية (١٤/ ٣٩)، والجامع لسيرة ابن تيمية (ص١٣٦).

(٢) ضمن الجامع لسيرة شيخ الإسلام (ص١٣٢ فما بعدها).



العنصر العاشر

قوته في التعامل مع الولاة

بالنصح لهم وحثهم علىٰ الخير ومؤازرتهم عليه، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر.

وهناك حوادث كثيرة يطول الكلام عنها، مثل:

- موقفه مع سلطان التتار (قازان) وقد وضح لهم إفسادهم وانتهاكهم لحرمات المسلمين مع ادعائهم للإسلام، فقابله مع أعيان البلد، وأخذ منه الأمان، وكلمه ابن تيمية كلاما قويا شديدا.

- وكذلك موقفه مع (بولاي) من قواد التتار فكلمه واستنقذ منه كثيراً من أسرىٰ المسلمين

- إضافة إلىٰ موقفه مع الأمير (قطلوبغا) الذي كان يأخذ أموال الناس بالباطل فجاءه ونهاه.

- وأمره السلاطين أن يقوموا بدورهم لما ظهرت الرشوة.



- وموقفه أيضًا مع السلطان (قلاوون) لما عاد للمرة الثالثة للسلطة وأفرج عن ابن تيمية ـ وكان سجينا ـ وعرض عليه وزيره أن أهل الذمة تقدموا بطلب دفع أموال مقابل عدم إلزامهم باللباس المخصَّص لأهل الذمة لتمييزهم عن المسلمين المعمول به من عهد عمر رضي الله تعالىٰ عنه، لأن أهل الذمة يلزمون بلباس يميزهم عن سائر المسلمين حتىٰ لا يتأثر بهم المسلمون، فأراد هؤلاء أن يقدموا أموالا للسلطان من أجل إعفائهم من هذا اللباس؛ فقام السلطان قلاوون واستشار الفقهاء والقضاة؛ فسكتوا إلا ابن تيمية تكلم بكلام غليظ حتىٰ رجع السلطان عن موقفه ورد عليهم طلبهم(١).

قال الحافظ ابن كثير: «وبالغ الشيخ في الكلام، وقال ما لا يستطيع أحد أن يقوم بمثله، ولا بقريب منه، وبالغ في التشنيع علىٰ من يوافق علىٰ ذلك، وقال للسلطان: حاشاك أن يكون أول مجلس جلسته في أبهة الملك أن تنصر فيه أهل الذمة لأجل حطام الدنيا الفانية، فاذكر نعمة الله عليك إذا ردَّ ملكك

(١) العقود الدرية (ص٢٨١).



إليك..»[١].

وألّف في تلك النازلة كتاب: اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم.

- ومنها أنه لما عزم التتار على دخول الشام وأصاب الناس هم عظيم، وعزم السلطان بمصر أن يخرج إليهم من مصر ثم كر راجعا إلى مصر وترك مناصرة إخوانه في الشام، فذهب إليه ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكان مما قال له: «إن كنتم أعرضتم عن الشام وحمايته، أقمنا له سلطانا يحوطه ويحميه ويستغله في زمن الأمن»[٢] وهدّده بقوله: «إن تخليتم عن الشام ونصرة أهله والذب عنهم فإن الله يقيم لهم من ينصرهم غيركم، ويستبدل بكم سواكم، وتلا قوله تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨][٣]. ولا زال به حتى جيّش السلطان الجيوش وسار إلى الشام وطردت التتار.

---

(١) البداية والنهاية (١٤/ ٥٤).

(٢) المصدر نفسه (١٤/ ١٥).

(٣) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٤/ ٥١٠).



وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتحمل في سبيل الله ما يلاقيه ويقول: «إذا ازدوج التكلم بالباطل والسكوت عن بيان الحق تولد منها جهل الحق وإضلال الخلق»(١).

❊❊❊❊

(١) الصواعق المرسلة في الرد علىٰ الجهمية والمعطلة (١/ ٣١٥).





العنصر الحادي عشر

قوته في الصبر والتحمل

لأن الإمامة في الدين لا تنال إلا بالصبر وباليقين، كما ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ مستدلا بقوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

نيل من عرضه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، واتهم بالبدعة والتجسيم وبغض الصحابة وبموالاة النصارىٰ وبالخروج علىٰ السلطان.

يقول عنه الذهبي: «حتىٰ قام عليه خلق من علماء مصر والشام قياماً لا مزيد عليه وبدّعوه وناظروه وكابروه وهو ثابت لا يداهن ولا يحابي بل يقول الحق المرّ... فترىٰ بينه وبينهم حملات حربية ودفعات شامية ومصرية، وكم من نوبة قد رموه عن قوس واحدة فينجيه الله، فإنه كان دائم الابتهال كثير الاستغاثة، قوي التوكل، ثابت الجأش، له أوراد وأذكار يدمنها..»[1].

---

(١) ابن تيمية بقلم تلميذه الذهبي (ص٣٦-٣٧).



وهذه التّهم ليست من أفراد الناس وآحادهم وعامتهم بل من علماء وقضاة وكبار ومشايخ، وترتب علىٰ ذلك امتحانه ومناظراته، وإغراء السفهاء وتسليط الدهماء والوشاية عند السلاطين إلىٰ أن أدخل السجن سبع مرات أربع بمصر بالقاهرة والإسكندرية وثلاث بدمشق[١].

بدأت هذه المحن بعد أن بلغ الثانية والثلاثين من عمره.

الأولىٰ: كانت بدمشق وكانت بسبب واقعة أحد الذميين النصارىٰ[٢]، حين سبَّ النبي ﷺ ـ فشهد عليه جماعة أنه سب النبي ﷺ، فلما بلغ الخبر ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ اجتمع هو والشيخ زين الدين الفارقي، شيخ دار الحديث بدمشق في ذلك الوقت، فدخلا علىٰ نائب السلطان فاستدعىٰ السلطان النصراني ومجيره عساف بن أحمد بن حجي أمير آل علي[٣]؛

(١) ينظر: المداخل، أبو زيد (٣١-٣٧).

(٢) ينظر: البداية والنهاية (١٣/ ٣٣٥-٣٣٦).

(٣) في البداية والنهاية أن الذمي اسمه عساف، والصحيح أن عسافا هو ابن أحمد بن حجي أمير آل علي، هو الذي كان مجيرا للنصراني السّاب، ينظر: المقتفىٰ للبرزالي (٢/ ٣٦٣).



فعلم الناس بالحادثة وهاجوا وضربوا هذا الذمي النصراني ثم ادعىٰ النصراني الإسلام فهرب، ولحق به أحد أبناء أخيه فقتله في الطريق، فغضب الوالي فقال: أنتم الذين هيجتم الناس، وأمر بالتحفظ عليهما.

وفي هذه الأثناء وبسبب هذه الحادثة ألّف كتاب: الصارم المسلول علىٰ شاتم الرسول ﷺ.

وكذلك كانت كل مؤلفاته إما بسبب قضية معينة أو معالجة نازلة واقعية معاصرة كانت في وقته، أو إجابة علىٰ مسألة مشكلة أو فتوىٰ مطلوبة..إلخ.

وذكرنا فيما تقدم سبب تأليف كتاب «اقتضاء الصراط المستقيم».

أما الثانية: فكانت في القاهرة لمدة عام وستة أشهر وسجن معه أخواه الشرف عبد الله، والزين عبد الرحمن، بسبب مسألة العرش والكلام والنزول، وأثمرت كتاب: شرح حديث النزول، وغيره من الكتب ذات العلاقة بأسباب السجن.



والثالثة: كانت في مصر أيضا في الاسكندرية بسبب استعداء السلطة عليه من المتصوفة بالقاهرة لمنعه الاستغاثة والتوسل بالمخلوقين و كلامه في ابن عربي، وعقد له مجلس، فاختلف المجلس بين مدين ومبرئ فخيره الوالي بين العودة إلىٰ دمشق أو البقاء في الإسكندرية بشروط معينة أو الحبس، فاختار الحبس، ثم ألح عليه تلامذته بالموافقة علىٰ العودة إلىٰ دمشق، وألف في هذه الحادثة رسالة «الرد علىٰ البكري» في الاستغاثه لأنها كانت سبب السجن.

والرابعة: في مصر أيضـًا، وذلك لأنه لما وافق تلامذته وخرج إلىٰ دمشق لم يرض ذلك بعض الحلولية المقربين إلىٰ الوالي، فاستدعاه مرة أخرىٰ في أثناء الطريق وعرضه علىٰ قضاة المالكية فاختلفوا فيه أيضا، فلما رأىٰ الشيخ الخلاف والهرج وما ترتب علىٰ ذلك قال: «أنا أمضي إلىٰ الحبس وأتبع ما تقتضيه المصلحة»[١]، فبقي فيه إلىٰ بداية عام ٧٠٨هـ.

---

(١) البداية والنهاية (١٤/ ٤٥)، حوادث سنة ٧٠٧هـ.





وفي هذا الموقف أراد أحد الناس أن يهوّن عليه رَحِمَهُ اللَّهُ سجنه، فقال: «يا سيدي هذا مقام الصبر»، فقال له: «بل هذا مقام الحمد والشكر، والله إنه نازل علىٰ قلبي من الفرح والسرور شيء لو قسم علىٰ أهل الشام ومصر لفضل عنهم»(١).

والمرة الخامسة: كانت في مصر أيضا، وهي بوشاية من علماء الحلولية أيضا، وميل الولاة إلىٰ كلامهم والتخطيط لاغتياله رَحِمَهُ اللَّهُ، ولكن في هذه الأثناء تولىٰ الملك الناصر قلاوون سنة ٧٠٩ هـ، فأخرج الشيخ من السجن وأفرج عنه، واستدعاه للقاهرة، لأنه كان في الاسكندرية، وقتل الوالي الذي سجن ابن تيمية شرَّ قتلة، ومات الواشي في زاويته التي كان فيها، وأراد الناصر قلاوون أن ينتقم من القضاة والفقهاء الذين حكموا علىٰ ابن تيمية وآذوه، وأراد أن يكون ظلم ابن تيمية تكأة من أجل أن ينتقم لنفسه ؛ لأنهم من الذين أيدوا ذلك الوالي الذي انقلب عليه؛ فأراد أن يجعل ابن تيمية ذريعة

---

(١) نبذة عن ابن تيمية بقلم خادمه الفياني (ص ٢٤).



في تحقيق الانتقام لنفسه، لكن ابن تيمية رحمه الله تعالىٰ فطن لمراد هذا السلطان، فلما استفتاه في الانتقام من هؤلاء القضاة والعلماء الذين ظلموه وتسببوا في سجنه، عرف الشيخ مقصوده فشرع في مدحهم والثناء عليهم، وقال: «لو ماتوا لم تجد مثلهم في دولتك، أما أنا فهم في حلٍّ من جهتي»(١) وقطع عليه الطريق.

وفي هذه الفترة ألّف «منهاج السنة»، و«الاستقامة»، و«تلبيس الجهمية»، و«الفتاوىٰ المصرية» وغيرها.

أما السادسة: فكانت في دمشق لمدة ستة أشهر عام ٧٢٠هـ بسبب مسألة الحلف بالطلاق، وأنتجت مجموعة كبيرة من الكتب والفتاوىٰ والردود الحافلة، منها: «الرد الكبير علىٰ من اعترض عليه في مسألة الحلف بالطلاق».

والسابعة ـ وهي التي مات فيها ـ: كانت في دمشق لمدة عامين وثلاثة أشهر ونصف سنة ٧٢٦ ه، بسبب مسألة الزيارة وشد الرحل وأنتجت «الرد علىٰ الأخنائي»، مع أنه في آخر

(١) البداية والنهاية (١٤/ ٥٤).





وقته منع القلم والدواة والكتب والرقاق، وكان آخر أمره يكتب بالفحم علىٰ جدران السجن[١].

وهذا الحسد والإيذاء من القرناء من أهل العلم فضلاً عن غيرهم قلّ أن يسلم منه أحد إلا من عصمه الله.

يقول الإمام أحمد: «إن الرجل من أهل العلم إذا منحه الله شيئا من العلم وحرمه قرناءه وأشكاله حسدوه، فرموه بما ليس فيه، وبئست الخصلة في أهل العلم»[٢].

ويقول الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معرض دفاعه عن ابن تيمية: «وهذه قاعدة مطردة في كل عالم متبحر في المعارف العلمية، ويفوق أهل عصره، ويدين بالكتاب والسنة، فإنه لا بد أن يستنكره المقصرون، ويقع لهم معه محنة بعد محنة، ثم يكون أمره الأعلىٰ وقوله الأقوىٰ، ويكون له بتلك الزلازل لسان صدق في الآخرين، ويكون لعلمه حظ لا يكون لغيره»[٣].

---

(١) العقود الدرية (ص٣٦٣) والبداية والنهاية (١٤/ ١٣٤).

(٢) مناقب الشافعي، للبيهقي (٢/ ٢٥٩).

(٣) البدر الطالع (١/ ٥٦).





وصدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ فلا يعرف أكثر مناوئي الشيخ، ولا يُذكرون إلا علىٰ سبيل الذَّم، والتاريخ شاهد.

ومما يلحظ أن ابن تيمية قد تلقىٰ هذه المحن والسجون بنفس راضية مطمئنة، واستثمرها في إصلاح المساجين، وفي التضرع للعبادة والتأليف كما تقدم، فانقلبت هذه المحن إلىٰ منح تستحق الشكر عليها، وكان يقول: «العوارض والمحن هي كالحر والبرد فإذا علم العبد أنه لا بد منهما لم يغضب لورودهما ولم يغتم لذلك ولم يحزن»(١).

ولما جاءه الخبر بنفيه إلىٰ الاسكندرية وقيل له: هم عاملون علىٰ قتلك أو نفيك أو حبسك، قال لهم: «أنا إن قتلت كانت لي شهادة، وإن نفوني كانت لي هجرة، ولو نفوني إلىٰ قبرص لدعوت أهلها لله وأجابوني، وإن حبسوني كانت لي معبدا»(٢).

---

(١) المستدرك علىٰ مجموع الفتاوىٰ (١/ ١٤٥) ومدارج السالكين (١/ ٣٨٩).

(٢) نبذة عن آخر حياة شيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٣٠).



ويقول ابن القيم قال لي مرة: «ما يصنع أعدائي بي، أنا جنتي في صدري، إن رحت فهي معي لا تفارقني، إن حبسي خلوة وقتلي شهادة وإخراجي من بلدي سياحة»(١).

ويقول أيضا: «وكان يقول في محبسه في القلعة: لو بذلت ملء القلعة ذهبا ما عدل عندي شكر هذه النعمة، أو قال: ما جزيتهم علىٰ ما تسببوا لي فيه من الخير ونحو هذا». قال: وقال لي مرة: «المحبوس من حبس قلبه عن ربه تعالىٰ، والمأسور من أسره هواه»(٢).

يقول الشيخ شهاب الدين ابن رجب في ترجمة الشيخ عمر بن عمران البلالي: «رأيته ببغداد بالمستنصرية، واجتمعت به بدمشق وأنشدني بيتين، قال: كتب إلي بها ابن تيمية حين حبست معه بقلعة دمشق وبقيت بعده خمس سنين معتقلًا، وكان يلقبه أبا حفص، وهما:

لا تَقْنطنَّ وثق بالله إن له ... أَلْطَافَ رقّت عن الأذهان والفِطَنِ

(١) الوابل الصيب (ص٦٠).

(٢) المصدر نفسه (ص٦١).





يأتيك من لُطفه ما ليس تعرفه حتىٰ تظن الذي قد كان لم يكُنِ»[١]

وهذه الأخلاق العالية هي ثمرة الإخلاص لله تعالىٰ وسعة العلم، يقول ابن القيم، رَحِمَهُ اللَّهُ: «فكلما اتسع علم العبد انشرح صدره واتسع، وليس هذا لكل علم، بل العلم الموروث عن الرسول ﷺ وهو العلم النافع، فأهله أشرح الناس صدرا وأوسعهم قلوبا وأحسنهم أخلاقا وأطيبهم عيشا»[٢]. والعلم ما قام عليه الدليل، والنافع ما جاء به الرسول ﷺ.

وهذا هو الواجب علىٰ أهل العلم كما قال ابن الوزير: «ولو أنّ العلماء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ تركوا الذب عن الحق خوفا من كلام الخلق لكانوا قد أضاعوا كثيرا وخافوا حقيرا»[٣].

(١) المنتقىٰ من معجم شيوخ شهاب الدين ابن رجب، انتقاء ولده زين الدين (ص١١٥).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد (٢/ ٢٣).

(٣) الروض الباسم (١/ ١٧).





العنصر الثاني عشر

قوته في العفو، وعدم الانتصار للنفس

وتقدم أنه لما كان في سجن الإسكندرية مظلوما، كان معه أخواه مسجونين كذلك؛ فقام أخوه يدعو ويبتهل إلىٰ الله علىٰ من كان السبب في سجنهم فمنعه ابن تيمية وقال له: بل قل: «اللهم هب لهم نورا يهتدون به إلىٰ الحق»[١] فنهاه أن يدعو عليهم؛ قال: «لأنهم أمروا بسجنك ظنا منهم أنهم ينصرون الدين ويحمون الشريعة بسبب الشبهة التي رانت علىٰ قلوبهم، إنما ادع الله لهم أن يهبهم نورا يهتدون به إلىٰ الحق»، فهذه هي القوة الحقيقية التي تتلاشىٰ العزائم أن تقف مثل هذا الموقف في مثل هذه الحالة.

يقول القاضي ابن مخلوف المالكي عن ابن تيمية: «ما رأينا أتقىٰ من ابن تيمية لم نُبْقِ ممكنا في السعي فيه، ولما قدر علينا عفا عنا»[٢] ويقول ابن تيمية عن ابن مخلوف: «وابن

(١) المداخل، أبو زيد (ص٣٤).

(٢) العقود الدرية (ص٢٨٣).



مخلوف لو عمل مهما عمل والله ما أقدر علىٰ خير إلا وأعمله معه، ولا أعين عليه عدوه قط ولا حول ولا قوة إلا بالله، هذه نيتي وعزمي مع علمي بجميع الأمور[١]، فإني أعلم أن الشيطان ينزغ بين المؤمنين، ولن أكون عونا للشيطان علىٰ إخواني المسلمين»[٢].

ويقول: «فلا أحب أن ينتصر من أحد بسبب كذبه علي، أو ظلمه أو عدوانه، فإني أحللت كل مسلم، وأنا أحب الخير لكل المسلمين، وأريد لكل مؤمن من الخير ما أحبه لنفسي، والذين كذبوا وظلموا فهم في حلّ من جهتي»[٣]. ويقرر ذلك قاعدة فيقول: «ما جزيت من عصىٰ الله فيك بمثل أن تطيع الله

---

(١) ذكر ابن تيمية أن حكم القاضي ابن مخلوف بحبسه مخالف للشريعة من بضعة وعشرين وجهًا، كتبها في سجنه في الإسكندرية في رمضان ٧٠٦هـ. قال: والوجوه مكتوبة مع الشرف محمد، وهو شرف الدين محمد سعد الدين بن بُخَيْخ الحراني، وهو ممن اعتقل مع ابن تيمية ومن مناصريه. ينظر: مجموع الفتاوىٰ (٣/ ٢٦٩) و(٣/ ٢٣٦)، والبداية والنهاية (١٨/ ٢٣٧).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٣/ ٢٧١).

(٣) المصدر نفسه (٢٨/ ٥٥).





فيه»(١).

ويؤصل رحمه الله تعالىٰ لهذا الخلق النبيل بقوله: «ما انتقم أحد قط لنفسه إلا أورثه ذلك ذلًّا يجده في نفسه، فإذا عفا أعزه الله تعالىٰ، وهذا مما أخبر به الصادق المصدوق حيث يقول: «**ما زاد الله عبداً بعفو إلا عزا**»(٢). فالعز الحاصل له بالعفو أحب إليه من العز الحاصل له بالانتقام، فإن هذا عز في الظاهر، وهو يورث في الباطن ذلاً، والعفو ذُل في الباطن، وهو يورث العزَّ باطنًا وظاهراً»(٣).

وعند قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨] يقول رحمه الله تعالىٰ: «هذه الآية نزلت بسبب بغضهم للكفار، وهو بغض مأمور به، فإذا كان البغض الذي قد أمر

(١) مجموع الفتاوىٰ (١/ ٢٤٥).

(٢) رواه مسلم- كتاب البر والصلة والآداب- باب استحباب العفو والتواضع ٢٥٨٨(٤/ ٢٠٠١).

(٣) جامع المسائل (١/ ١٧٠).





الله به قد نهي صاحبه أن يظلم من أبغضه، فكيف في بغض المسلم بتأويل أو شبهة أو بهوىٰ نفس، فهو أحق ألا يظلم بل يعدل معه»(١).

❊❊❊❊

(١) منهاج السنة (٥/ ١٢٦).





العنصر الثالث عشر

قوته في التزام العدل والإنصاف مع الموافق والمخالف والأمانة في النقل عنهم

وهذا خلق إسلامي رفيع حثّ عليه القرآن والسنة، وكان من هديه ﷺ قولا وعملا وتقريرا، وعليه سار أتباعه رضوان الله تعالىٰ عليهم من أهل الوراثة النبوية.

وقد ظهر ذلك جليا في مواقف ابن تيمية رحمه الله تعالىٰ المكتوبة وغير المكتوبة، فحفظت لنا كتبه رحمه الله تعالىٰ كثيرا ممّا نسبه للطوائف من تقرير ما هم عليه من قبل الوقوف علىٰ كتبهم ومخطوطاتها، وبعد تحقيقها وجد كلامهم في كتبهم مطابقا لما نسبه إليهم تمام المطابقة.

بل إن من عدله وإنصافه رحمه الله تعالىٰ أنه يذكر ما عند كل طائفة من حق وإن كانت غالية في الباطل، فذكر ما عند المتفلسفة من حق وما عند المعتزلة كذلك، ويلتمس لهم الأعذار والأسباب التي بسببها وقعوا فيما وقعوا فيه، فهو يقرر أن العدل واجب مع كل الطوائف، وأن الظلم محرم مع



الموافق والمخالف، ويقرر أن الحكم بين الناس في عقائدهم وأقوالهم أعظم من الحكم بينهم في مبايعهم وأموالهم(١).

وعليه فإن الواجب ألّا يتكلم في الناس جماعات أو أفراداً إلا بعلم وعدل، لا بظلم وجهل(٢).

ويقول: «كثير من هذه الطوائف يتعصب علىٰ غيره، ويرىٰ القذاة في عين أخيه، ولا يرىٰ الجذع المعترض في عينه»(٣).

فكان ينهىٰ عن التعصب المذموم فيقول: «من تعصب لأهل بلدته أو مذهبه أو طريقته أو قرابته أو لأصدقائه دون غيرهم كانت فيه شعبة من الجاهلية حتىٰ يكون المؤمنون كما أمرهم الله تعالىٰ بحبله وكتابه وسنة رسوله ﷺ»(٤).

ثم هو يقسم الطوائف إلىٰ طبقات بحسب قربهم وبعدهم

---

(١) درء التعارض (٧/ ٤٦٣-٤٦٤).

(٢) منهاج السنة (٤/ ٣٣٧).

(٣) درء التعارض (٧/ ٤٦٣).

(٤) مجموع الفتاوىٰ (٢٨/ ٤٢٢).



عن الحق، ويقسم الطائفة بحسب درجات الانحراف عند أفرادها، فيقول: «منهم من يكون قد خالف السنة في أصول عظيمة، ومنهم من يكون إنما خالف السنة في أمور دقيقة، ومن يكون قد رد علىٰ غيره من الطوائف الذين هم أبعد عن السنة منه فيكون محمودا فيما رده من الباطل وقاله من الحق لكن قد يكون جاوز العدل في رده بحيث جحد بعض الحق وقال بعض الباطل فيكون قد رد بدعة كبيرة ببدعة أخف منها»[(١)].

والانحراف بعضه أخف من بعض فقد يكون الرجل علىٰ طريقة من الشرّ عظيمة فينتقل إلىٰ ما هو أقل منها شرا وأقرب إلىٰ الخير... وهكذا النّحل التي فيها بدعة قد يكون رافضيا فيصير زيدياً فذلك خير له، وقد يكون جهميّا قدريا فيكون جهميّا غير قدري، أو يكون جهميا من الكبار فيتجهم في بعض الصفات»[(٢)].

وهذا الإنصاف قد اعترف به بعض المخالفين، فيقول له

(١) الصفدية (١/ ١٦٠-١٦١).

(٢) الاستقامة (١/ ٣٤٨-٣٤٩).





أحد الرافضة «أنتم تنصفونا ما لا ينصف بعضنا بعضا»(١).

وكان من إنصافه أنه لا يحكم علىٰ الشخص لمجرد انتسابه إلىٰ مذهب أو طائفة ضالة، بل يحاكمه إلىٰ ما صدر منه وظهر، فهذا شمس الدين الهمداني الدمشقي الشيعي، وهو شيعي عاقل لم يحفظ عنه سبّ أحد من الصحابة، بل نظم في فضائل الصحابة، وكان ينطوي علىٰ دين وإسلام وتعبد مع بدعته وشيء من الاعتزال والتشيع، قال عنه ابن تيمية: «هو ممن يتشيع به السني، ويتسنن به الرافضي» وكان يجتمع به كثيراً، وقيل إنه رجع آخر عمره عن أشياء(٢).

ومن قواعد إنصافه أنه يفرق بين المقالة وقائلها، فيشنع علىٰ المقالة ويهدمها ويبين انحرافها، وعند الحديث عن القائل والشخص يحاول التماس المعاذير له والسبب الذي أوقعه في ذلك(٣).

---

(١) منهاج السنة (٣/ ٣٩).

(٢) ينظر: أعيان العصر للصفدي (٤/ ٣٥٦).

(٣) ينظر: نماذج من ذلك في كتاب: موقف ابن تيمية من الأشاعرة (١/ ٢٧٩-٢٨١).





وقد تجاوز أحد المخالفين فنسب إليه ما لم يقله فكان رد ابن تيمية عليه بقوله: «يا ليته كان كلامًا صحيحًا مستقيمًا، فكنا نحلله من حقنا، ويستفاد ما فيه من العلم..»[١].

ومن إنصافه أنه لا يبرئ بعض أهل السنة من المحدّثين وغيرهم من الوقوع في الخطأ والرد عليهم، فيقول: «يوجد في أهل الحديث مطلقا من الحنبلية وغيرهم من الغلط في الإثبات أكثر مما يوجد في أهل الكلام، ويوجد في أهل الكلام من الغلط في النفي أكثر مما يوجد في أهل الحديث»[٢].

وفي كل ذلك فالواجب على المسلم أن ينظر إلى أهل الانحراف بعين القدر ـ والحيرة مستولية عليهم، والشيطان مستحوذ عليهم ـ فيرحمهم ويرفق بهم[٣]. وبعين الشرع فيبين الضلال والانحراف والبعد عن السنة بعدل وإنصاف،

---

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ٣٧٥).

(٢) المصدر نفسه (١٧/ ٣٦٣) وينظر: (١٢/ ٣٣).

(٣) المصدر نفسه (٥/ ١١٩).





كما عبّر عن ذلك تلميذه ابن القيم حين قال في نونيته:

واجعل لقلبك مقلتين كلاهما ... بالحق في ذا الخلق ناظرتان

فانظر بعين الحكم وارحمهم بها ... إذ لا ترد مشيئة الدّيان

وانظر بعين الأمر واحملهم علىٰ ... أحكامه فهما إذًا نظران[1]

ومن صور التماس الأعذار للمخالفين، قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وعذر كل من تفرد بمسألة من أئمتنا من عصر الصحابة والتابعين إلىٰ زماننا هذا أن يقال: لكل عالم هفوة ولكل صارم نبوة، ولكل جواد كبوة»[2].

ولا شك أن الإنصاف هو أحلىٰ حلية يتحلىٰ بها طالب العلم[3]، ومع ذلك فهو عزيز جدا في الناس، ولذلك يقول

---

(١) نونية ابن القيم (ص٤٧).

(٢) بيان تلبيس الجهمية (٦/ ٤٠٦).

(٣) ينظر في الإنصاف مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٦٦) ومدارج السالكين (٢/ ٣٩٤) وسير أعلام النبلاء (٣/ ١٥٠و٥/ ٢٧١ و١٥/ ٥٦٤)
=





الإمـــام مالـــك رَحِمَهُ اللَّهُ: «مـــا في زماننـــا شـــيء أقـــل مـــن الإنـــصاف»[(١)] هـــذا في زمانـــه فكيـــف لـــو رأىٰ زماننـــا والله المستعان.

❁❁❁❁

=

وإعلام الموقعين (٣/ ٣٥٨).

(١) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٥٢١).





العنصر الرابع عشر
قوته في جمع الكلمة وتأليف القلوب

يرى شيخ الإسلام أن الاعتصام بالجماعة وتأليف القلوب من أصول الدين[١]، ويرى أن البدعة مقرونة بالفرقة كما أن السنة مقرونة بالجماعة، فيقال: «أهل السنة والجماعة كما يقال: أهل البدعة والفرقة»[٢] ويقول: «نتيجة الجماعة رحمة الله ورضوانه وسعادة الدنيا والآخرة وبياض الوجوه، ونتيجة الفرقة عذاب الله ولعنته وسواد الوجوه وبراءة الرسول ﷺ منهم»[٣].

ويقول: «والمسلمون في مشارق الأرض ومغاربها قلوبهم واحدة، موالية لله ولرسوله ولعباده المؤمنين، معادية لأعداء الله ورسوله وعباده المؤمنين، وقلوبهم الصادقة وأدعيتهم الصالحة هي العسكر الذي لا يغلب والجند الذي لا يغلب»[٤].

(١) مجموع الفتاوى (٢٢/ ٢٥٤) ومنهاج السنة (٦/ ١٧٨).

(٢) الاستقامة (١/ ٤٢).

(٣) مجموع الفتاوى (١/ ١٧).

(٤) المصدر نفسه (٢٨/ ٦٤٤).





وتقدم قوله، رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من تعصب لأهل بلدته أو مذهبه أو طريقته أو قرابته أو لأصدقائه دون غيرهم كانت فيه شعبة من الجاهلية حتىٰ يكون المؤمنون كما أمرهم الله تعالىٰ بحبله وكتابه وسنة رسوله ﷺ»(١).

ويسعىٰ إلىٰ تطبيق ذلك واقعا عمليًّا، وما سبق من ذكر بعض الوقائع والأحداث والعناصر شاهد علىٰ ذلك.

ومن مواقفه في هذا الخصوص قوله: «والناس يعلمون أنه كان بين الحنبلية والأشعرية وحشة ومنافرة، وأنا كنت من أعظم الناس تأليفا لقلوب المسلمين وطلبا لاتفاق كلمتهم، واتّباعا لما أمرنا به من الاعتصام بحبل الله، وأزلت عامة ما كان في النفوس من الوحشة، وبيّنت لهم أن الأشعري كان من أجلّ المتكلمين المنتسبين إلىٰ الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ ونحوه المنتصرين لطريقه كما يذكر الأشعري ذلك في كتبه...

ولما أظهرت كلام الأشعري ـ ورآه الحنبلية ـ قالوا: هذا

(١) مجموع الفتاوىٰ (٢٨/ ٤٢٢).



خير من كلام الشيخ الموفق، وفرح المسلمون باتفاق الكلمة، وأظهرتُ ما ذكره ابن عساكر في مناقبه أنه لم تزل الحنابلة والأشاعرة متفقين إلىٰ زمن القشيري، فإنه لما جرت تلك الفتنة ببغداد تفرقت الكلمة، مع أني في عمري إلىٰ ساعتي هذه لم أدع أحدا قط في أصول الدين إلىٰ مذهب حنبلي وغير حنبلي، ولا انتصرت لذلك، ولا أذكره في كلامي، ولا أذكر إلا ما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها.

هذا مع أني دائما ـ ومن جالسني يعلم ذلك مني ـ أني من أعظم الناس نهيا عن أن ينسب معيّن إلىٰ تكفير وتفسيق ومعصية، إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافرا تارة وفاسقا أخرىٰ وعاصيا أخرىٰ، وإني أقرر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها: وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية والمسائل العملية، وما زال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل، ولم يشهد أحد منهم علىٰ أحد لا بكفر ولا بفسق ولا معصية»(١).

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٣/ ٢٢٧- ٢٢٩).



ولذا كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ ينهى عن إظهار موارد النزاع إذا كان فيها فساد عام، ويرى عقوبة من يظهرها[(١)] كما يلتمس الأعذار للمخالفين؛ لأن المخالف قد يكون مجتهدا مخطئا مغفوراً له خطؤه، وقد لا يكون بلغه من العلم ما تقوم به الحجة عليه، وقد يكون له من الحسنات ما يمحو الله به تلك السيئات، فمن اعتقد العقيدة الصحيحة نجا، ومن لم يعتقدها فقد يكون ناجيا معذورا وقد لا يكون ناجيا، ويضرب لذلك المثال بحديث: «من صمت نجا»[(٢)] فهذا لا يعني أن كل من تكلم هلك، وإنما يعني أن الصامت ناج، والمتكلم قد يكون ناجيا وقد لا يكون ناجيا[(٣)].

ويقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كل ما أوجب فتنة وفرقة فليس من

---

(١) جامع الرسائل (١/ ٢٧٩).

(٢) رواه الترمذي- ٢٥٠١ (٤/ ٢٤١) وقال: «هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة». وابن لهيعة: صدوق خلط بعد احتراق كتبه، ورواية ابن المبارك وابن وهب عنه أعدل من غيرهما. ينظر: التقريب (٣١٩) ط. عوامه.

(٣) في مناظرة الواسطية (١/ ١٣).



الدين سواء كان قولاً أو فعلاً، ولكن المصيب العادل عليه أن يصبر عن الفتنة ويصبر على جهل الجهول وظلمه، إن كان غير متأوّل، وأما إن كان ذاك أيضاً متأولا فخطؤه مغفور له..»(١).

وذكر الصفدي في ترجمة برهان الدين أبي إسحاق الفزاري أنه كان «يخالف الشيخ تقي الدين ابن تيمية في مسائل، وما تهاجرا قط، وكل منهما يحترم صاحبه إذا اجتمعا، ولما بلغته وفاته استرجع وشيع جنازته»(٢).

وهذا مذهب السلف الصالح رحمهم الله: «كانوا يختلفون في المسائل الفرعية مع بقاء الألفة والعصمة وصلاح ذات البين..»(٣).

فهذا يونس بن عبد الأعلىٰ يقول: «ما رأيت أحدا أعقل من الشافعي لو جمعت أمة فجعلت في عقل الشافعي

(١) الاستقامة (١/ ٣٧).
(٢) أعيان العصر (٢/ ٨٦).
(٣) الفتاوىٰ الكبرىٰ (ص٦ وص٩٢).





لوسعهم عقله.. وقال: ناظرت الشافعي يوما في مسألة ثم افترقنا ولقيني فأخذ بيدي ثم قال لي يا أبا موسىٰ ألا يستقيم أن نكون إخوانا وإن لم نتفق في مسألة»(١).

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٥١/ ٣٠٢).



العنصر الخامس عشر

مراعاته فقه الأولويات و تنقية العقيدة

ومع حرصه رحمه الله على جمع الكلمة وتأليف القلوب إلا أن هذا في ميدان العمل والتعامل مع المخالفين وتلمس الأعذار لهم والحرص على دعوتهم وبيان الحق لهم، وهذا لا يعني التنازل عن شيء من أصول العقيدة أو الإقرار بشيء من البدع أو المداهنة في دين الله تعالى، ومناظراته حول العقيدة الواسطية خير شاهد على ذلك.

وقد كان يغيّر المنكرات الشركية بيده ما استطاع إلى ذلك سبيلا، كما تقدم تفصيل ذلك في قوته الجهادية والاحتسابية[1].

ومن الأمثلة التطبيقية على ذلك أيضا، موقفه من القتال مع القبورية الذين كانوا يستغيثون بالموتى عند القبور فيقول رحمه الله: «إن العدو الخارج عن شريعة الإسلام لما قدم دمشق خرجوا يستغيثون بالموتى عند القبور التي يرجون عندها كشف ضرهم... فقلتُ لهم: هؤلاء الذين تستغيثون بهم لو

---

(١) العنصر التاسع، (ص ٥٥).



كانوا معكم في القتال لانهزموا، كما انهزم من انهزم من المسلمين يومَ أحدٍ؛ فإنه كان قد قضىٰ أن العسكر ينكسر لأسباب اقتضت ذلك، ولحكمة الله ـ عز وجل ـ في ذلك.

ولهذا كان أهل المعرفة بالدين والمكاشفة لم يقاتلوا في تلك المرة لعدم القتال الشرعي؛ الذي أمر اللهُ به ورسولُه ﷺ، ولما يحصل في ذلك مِن الشَّر والفساد، وانتفاء النُّصرة المطلوبةِ في القتال، فلا يكون فيه ثواب الدُّنيا ولا ثواب الآخرة؛ لمن عرف هذا وهذا..

فلما كان بعد ذلك جعلنا نأمر الناس بإخلاص الدين لله عز وجل والاستغاثة به، وأنهم لا يستغيثون إلا بالله لا يَستغيثون بملكٍ مُقرب، ولا نبي مُرسل..

فلما أصلح الناسُ أمورهم وصدقوا في الاستغاثة بربهم نصرهم علىٰ عدوهم نصراً عزيزاً؛ لم يتقدّم نظيره، ولم تُهزم التتار مثل هذه الهزيمة قبل ذلك أصلاً؛ لما صح من تحقيق توحيده وطاعة رسوله ﷺ ما لم يكن قبل ذلك..»[١].

---

(١) الرد علىٰ البكري (٢/ ٧٣٨).



والملاحظ أن ذلك الموقف ليس تركًا للقتال، ولكنه من أهم خطوات إعداد العدة، فإذا كان العدو صائلا فإنه يجب إعداد العدة لرد هذا الصائل لا أن يقابل بغير عدة ولا سلاح، وأول العدة هي تنقية القلوب من أدرانها واتخاذ وسائل استنزال النصر من مالكه تعالىٰ، ولا يعني ذلك أنه يجب أن يكون الناس علىٰ صفاء قلب رجل واحد، وإنما تكون الراية والقيادة وجمهرة الجيش صافية ونقية، وإن كان في الأفراد من هم دون ذلك، فقد كان من يقاتل مع النبي ﷺ من يريد الدنيا، كما قال تعالىٰ: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْأَخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢] ومنهم الأعراب ضعاف الإيمان والمنافقون وغيرهم.

وبناء علىٰ قاعدة: دفع أعظم المفسدتين بارتكاب أدناهما، قال شيخ الإسلام: «ولهذا كان من أصول أهل السنة والجماعة الغزو مع كل بر وفاجر»(١). لأن مفسدة ترك الجهاد والاجتماع عليه أكثر من مفسدة الصلاة أو الجهاد مع

(١) مجموع الفتاوىٰ (٢٨/ ٥٠٦).





الفاجر أو المبتدع.

قال ابن قدامة: «ولأن ترك الجهاد مع الفجار يفضي إلىٰ ترك الجهاد وظهور الكفار علىٰ المسلمين واستئصالهم وظهور كلمة الكفر، وفيه فساد عظيم»(١).

ويقرر شيخ الإسلام ابن تيمية القاعدة التالية: «إذا تعذر إقامة الواجبات من العلم والجهاد وغير ذلك إلا بمن فيه بدعة مضرتها دون مضرة ترك ذلك الواجب كان تحصيل مصلحة الواجب مع مفسدة مرجوحة خيراً من العكس»(٢).

وبناء علىٰ ذلك فقد اجتمع ابن تيمية مع بعض الأشاعرة وبعض المتصوفة في قتال التتار كما في شقحب وكسروان مع ردوده الكثيرة والقوية عليهم، وهذا دليل علىٰ التفريق بين التعامل مع المبتدعة وتأليف قلوبهم وبين الإقرار بالبدعة والتهوين من خطرها أو السكوت عنها.

فهل يعي هذا مَنْ أشغلوا أنفسهم بالبحث والتنقيب عن

---

(١) المغني (٩/ ١٦٥).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٢٨/ ٢١٢).





أخطاء وزلَّات المصلحين من العلماء والدعاة، وغضُّوا الطرف إن لم يتمالؤوا مع المنافقين من الليبراليِّين والعلمانيِّين والكفار المحاربين لدين الله؟!

وهذا الملحظ في فقه الأولويات والموازنة بين المصالح والمفاسد وتقديم أخف المفسدتين علىٰ أعظمهما ظاهر في تآليفه أيضا، يقول عنه تلميذه ابن البزار أنه طلب منه أن يكتب مصنفا في الفقه يجمع اختباراته وترجيحاته فقال لي ما معناه: «الفروع أمرها قريب، ومتىٰ قلد المسلم فيها أحد العلماء المقلدين، جاز له العمل بقوله ما لم يتيقن خطأه، وأما الأصول: فإني رأيت أهل البدع والضلالات والأهواء؛ كالمتفلسفة، والباطنية، والملاحدة، والقائلين بوحدة الوجود والدهرية، والقدرية، والنصيرية، والجهمية، والحلولية، والمعطلة، والمجسمة، والمشبهة، والراوندية، والكلابية، والسليمية وغيرهم من أهل البدع قد تجاذبوا فيها بأزمة الضلال، وبان لي أن كثيرا منهم إنما قصد إبطال الشريعة المقدسة المحمدية الظاهرة العلية علىٰ كل دين وأن جمهورهم أوقع الناس في التشكيك في أصول دينهم، ولهذا



قلّ أن سمعت أو رأيت معرضا عن الكتاب والسنة مقبلا علىٰ مقالاتهم إلا وقد تزندق أو صار علىٰ غير يقين في دينه واعتقاده»(١).

ومن صور فقه الموازنة الذي أصبح منهجًا متبعًا عنده رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: «فمن ناقش المؤمنين علىٰ الذنوب وهو لا يناقش الكفار والمنافقين علىٰ كفرهم ونفاقهم، بل وربما يمدحهم ويعظمهم دلّ علىٰ أنه من أعظم الناس جهلاً وظلمًا، إن لم ينته به جهله إلىٰ الكفر والنفاق»(٢).

ومن صور ذلك أيضا أنه كان يأمر أصحابه ألا يمنعوا الخمر من أعداء المسلمين التتار وغيرهم؛ لأن صحوهم شر من سكرهم، فلا خير في إعانتهم علىٰ صحوهم الذي فيه إيذاء المسلمين(٣).

---

(١) النبوات لابن تيمية (١/ ٧١).

(٢) منهاج السنة النبوية (٤/ ٣٧٣-٣٧٤).

(٣) الاستقامة (ص٤٢٦).



العنصر السادس عشر

قوته العلمية في التأليف والتصنيف والإفتاء

أختم بالكلام علىٰ قوته في التأليف فقد بدأ التأليف كما تقدم وهو ابن سبع عشرة سنة، كان من أفراد الدهر في كثرة التآليف؛ فلا يُعلم في الإسلام من صنف نحو ما صنف ولا قريبا منه، والمكثرون في التصنيف مثل ابن عبد البر، وابن الجوزي، والسيوطي وابن حجر، وقد قدرت مؤلفاته بخسمائة مجلد وبأربعة آلاف كراس أو أكثر، وقد بلغ ما يكتبه في اليوم والليلة أربع كراريس، كان يكتب في اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ في جمعة فأكثر[(١)].

وكان يكتب جل مؤلفاته من حفظه، وكان ذا قلم سريع الكتابة إذا رقم، يكاد يسابق البرق إذا لمع[(٢)].

وقد قيض الله له أحد النسّاخ وهو عبد الله بن رُشَيْق

---

(١) الوابل الصيب (ص٦٠).

(٢) المداخل إلىٰ آثار شيخ الإسلام ابن تيمية وما لحقها من أعمال (ص٢٤).



المغربي(ت: ٧٤٩) فكان يستنسخ كتبه، رحمهما الله تعالىٰ، قال عنه ابن كثير، رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان أبصر بخط الشيخ منه»[١].

جمع الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ اسم ألف مصنف[٢] وقال إنه وجدها أكثر من ألف مصنف[٣]، وذكر محققا[٤] الصارم المسلول في دراستهما للكتاب حوالي: ٧٠٢ عنوانا، تكلما عن الموجود منها والمفقود وموضوعاتها بقدر ما توصلا إليه، جزاهما الله خيرا، وقد طبع منها ما يزيد علىٰ ٢٠٠عنوان، ومنها مجموع الفتاوىٰ الذي جمعه الشيخان عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد جزاهما الله خيرا في(٣٧)

---

(١) البداية والناية (١٤/ ٢٢٩).

(٢) الرد الوافر لابن ناصر الدين (ص ٣٥).

(٣) المصدر نفسه (ص٧٢).

(٤) وهما فضيلة د. محمد الحلواني، وفضيلة د. محمد كبير شودري.
ومن أوائل من حاول إحصاء مؤلفات الشيخ تلميذه، عبد الله بن رشيق، وقد طبعت منسوبة خطأً لابن القيم، كما حقق ذلك الشيخان المحققان: محمد عزيز شمس، وعلي محمد العمران، في الجامع لسيرة شيخ الإسلام. (ص٥٦فما بعدها) كما حاول الصفدي جمع أسمائها في الوافي بالوفيات (٧/ ٢٣).



مجلدا مع الفهارس، والمستدرك عليها (٥) مجلدات لابنه محمد رحمهما الله تعالىٰ.

ومن مؤلفاته رحمه الله تعالىٰ ما ألّفه في جلسة واحدة مثل الحموية ألّفها سنة ٦٩٨ هـ ـ وهو ابن سبع وثلاثين سنة ـ بين الظهر والعصر[١]، والواسطية ألفَّها بعد العصر في جلسة[٢]، والسياسة الشرعية ألفه في ليلة[٣]،وألّف أغلب كتبه في السجن في مصر وفي دمشق، كما تقدم.

كما ألّف رحمه الله لأهل الآفاق عدة كتب، يأتيه السؤال أو فتوىٰ ويرد عليه بكتاب مثل التدمرية لأهل تدمر والبعلبكية لأهل بعلبك، والواسطية لأهل واسط والحموية لأهل حماه، والمراكشية لأهل مراكش، وغيرها، وقد عرفت أسماء (٦٣) رسالة كلها إجابة علىٰ أسئلة واستفتاءات ترد إليه من الأقاليم فيكون الجواب كتابا منسوبا إلىٰ الجهة التي ورد منها ذلك

---

(١) العقود الدرية (ص ٤٩) وينظر: المدخل (٦٢).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٣/ ١٩٤).

(٣) المصدر نفسه (٢٨/ ٢٤٤).





الاستفتاء.

ولذلك لم يؤلف ابتداء متونا على الأبواب أو الفصول بل كلها إجابات أو ردود على المعترضين أو النوازل التي تنزل على الأمة فيرى أنها تحتاج إلى جلاء المسألة وبيان حكم الشرع فيها فيؤلف فيها كتابا.

وقد بدأ اهتمامه بالرد على المخالفين ومجاهدتهم منذ صغره، فيقول عن نفسه رحمه الله: «بعد بلوغي بقليل وعندي من الرغبة في العلم وتحقيق هذه الأمور ما أوجب أني كنت أرى في منامي ابن سيناء وأنا أناظر في هذا المقام وأقول له: أنتم تزعمون بأنكم عقلاء العالم وأذكياء الخلق، وتقولون مثل هذا القول الذي لا يقوله أضعف الناس عقلا»[١].

وقد جرى له بسبب بعض مؤلفاته وفتاويه محن من السجن وغيره، ونيل من عرضه بغير حق كما جرى له بسبب الحموية والواسطية وفتواه في الطلاق وفتوى الزيارة وشدّ الرحال، وغيرها كما تقدم.

---

(١) بيان تلبيس الجهمية (٥/ ٢٦٣).



وقد شرح جملة من الكتب، كشرح العمدة، ولم يكمله، وشرح رسالة ابن عبدوس في كلام الإمام أحمد في الأصول ولم نقف عليها.

وقد يكتب للاستذكار.

وندر أن يسمي كتابا لأنه لا يراجعها ولا يعيد النظر فيها ولا يسميها، وأكثر التسميات إنما هي من وضع واجتهاد النُّسَّاخ الذين ينظرون إلىٰ موضوعها أو الجهة التي ورد السؤال منها، وأحيانا قد يسميه في كتاب آخر كأن يقول: ذكرنا ذلك في كتابنا كذا، فيذكر له اسما مثل «الصارم المسلول» وأحيانا يشير إلىٰ اسمه في الطرة ولا يذكره في المقدمة مثل «الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح»

وهناك بعض الكتب التي شرع فيها ولم يكملها مثل:

- شرح العمدة انتهىٰ إلىٰ ربع العبادات.
- شرح المحرر في مجلدات ولم يكمله.
- شرح أول المحصول للرازي ولم يكمله.





- ونقض التأسيس في مجلدات، ولم يكمله(١).
- وشرح أول كتاب الغزنوي في أصول الدين ولم يتمه(٢).

وهناك بعض الكتب المنسوبة لشيخ الإسلام ولم تصحّ نسبتها، أو مشكوك في ذلك منها:

- رسالة في الجهاد على أنه للدفاع فقط ولا يكون ابتداء على الكفر(٣).

---

(١) وطبع الموجود منه في (٨) مجلدات بالفهارس، طباعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف بالمدينة.

(٢) المداخل، لبكر أبو زيد (ص٦٥)،

(٣) ذكرها ابن قاسم(٨/ ١-٢) وطبعت بعنوان: قاعدة مختصرة في قتال الكفار ومهادنتهم وتحريم قتلهم لمجرد كفرهم. تحقيق ودراسة د. عبد العزيز بن عبد الله آل أحمد، وذكر أن الرسالة جاءت مختصرة ففهم بعضهم أن الشيخ لا يرى جهاد الطلب بناء عليها، ونفاها الآخرون كابن باز وغيره، وهي تناقض الثابت عن الشيخ رحمه الله، في هذه المسألة، قال المحقق: والحق أن الشيخ لا ينفي مقاتلة الكفار ابتداء أو طلبهم، بل لم يتعرض لهذا الأمر في هذا الجزء المنقول عنه بشكل صريح. (ص٦٤).





- ومنظومة في العقيدة(١).
- ودعاء ختم القرآن(٢).
- ما طبع حديثًا بعنوان: تنبيه الرجل العاقل في تمويه الجدل الباطل(٣).

ومن الكتب التي ألّفها ثم تراجع عنها كتاب «منسك في الحج» كتبه قبل أن يحج، وذكر فيه ما كان يقوله طائفة من المصنفين في المناسك من استحباب زيارة مساجد مكة وما حولها قال: «ثم تبين لنا أن هذا كله من البدع المحدثة التي لا أصل لها في الشريعة، وأن السابقين الأولين من المهاجرين

(١) شرحها أحمد بن عبدالله المرداوي بعنوان: اللآلي البهية شرح لامية شيخ الإسلام ابن تيمية، وذكر أن هذه اللامية منسوبة لابن تيمية، وهي في ستة عشر بيتا.

(٢) ذكرها في المستدرك (٣/ ١٠٨).

(٣) لفضيلة الشيخ دغش العجمي بحث منشور في الشبكة العنكبوتية في موقع (الألوكة) بعنوان: تنبيه الغافل إلىٰ عدم صحة نسبة الكتاب المطبوع باسم: «تنبيه الرجل العاقل علىٰ تمويه الجدل والباطل» لشيخ الإسلام ابن تيمية.





والأنصار لم يفعلوا ذلك وأن أئمة الهدىٰ والدين ينهون عن ذلك»(١).

ثم ألّف في آخر عمره منسكا كما نصّ علىٰ ذلك ابن عبد الهادي، قال فيه: «كتبت في هذا ما تبين لي من سنة رسول الله ﷺ مختصرا مبينا»(٢).

وأول كتاب يطبع هو الفتوىٰ الحموية، طبعت في الهند مع ترجمتها إلىٰ الأوردية عام ١٢٩٢هـ باعتناء العلامة صديق حسن خان رحمه الله.

وقد فقد الكثير من كتب ابن تيمية ومصنفاته، ومن الكتب المفقودة التي لم تصلنا بعد فيما أعلم:

١- جواب الاعتراضات المصرية علىٰ الفتوىٰ الحموية.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٨٠٢) وانظر كلامه عن هذا المنسك وتراجعه عنه في مجموع الفتاوىٰ (٢٦/ ٩٨) ومجموع الرسائل الكبرىٰ (٢/ ٣٧٥).

(٢) المقدمة (ص١٧) طبعة دار عالم الفوائد، عناية فضيلة الشيخ علي بن محمد العمران.





٢- شرح أول المحصل للرازي.

٣- مسائل من الأربعين للرازي. (١)

٣- شرح رسالة ابن عبدوس للإمام أحمد.

ولعلّ أبرز أسباب فقدانها أمران:

الأول: أنه لما حبس تفرق أتباعه وتفرقت كتبه وخاف أصحابه، لأنه صار متهما من وجدوا عنده كتابا لابن تيمية، ـ كما هو حاصل في بعض البلدان اليوم ـ فأتلف بعضهم ما عندهم من النسخ، ومحا بعضهم اسم المؤلف، فكانت مجهولة المؤلف، وربما وضع أحدهم عليها اسما مستعارا لحفظ الكتاب والسلامة من تبعاته(٢).

السبب الآخر: كيد أعدائه وحساده فكانوا إذا وجدوا كتابا نفيسا له أخفوه وأتلفوه، فضاع كثير من تراثه رحمه الله تعالىٰ، لكن الله أبقىٰ ما فيه الخير والبركة.

---

(١) ينظر موقف ابن تيمية من الأشاعرة، للمحمود (١/ ١٨١-١٩١).

(٢) ينظر بعض أسباب فقدان كتبه: العقود الدرية (ص٦٥-٦٦).



وقد كتب الله لكتبه البقاء والانتشار، ووضِع لها القبول في الأرض، واستفاد منها الملايين من البشر، وذلك مصداق ما توقّعه ـ بل أقسم عليه ـ الشيخ أحمد بن مرّي الحنبلي(١) في رسالته لتلامذة الشيخ بعد وفاته، يوصيهم بكتب الشيخ ويحثهم علىٰ نشر علمه، ويطيّب خواطرهم بأن المستقبل للحق، وما كان لله فهو باق، فقال رحمه الله: «والله ـ إن شاء الله ـ ليقيمن الله لنصر هذا الكلام ونشره وتدوينه وتفهمه واستخراج مقاصده واستحسان عجائبه وغرائبه رجال هم الآن في أصلاب آبائهم»(٢).

وهذه هي سنة الله الجارية في عباده وبلاده وهذا النفع والانتشار قرينة علىٰ الصدق والإخلاص، ولا نزكي علىٰ الله أحداً، كما كان للإمام مالك موطئه ومقولته المشهورة: «ما

---

(١) أحمد بن محمد بن مري البعلي الحنبلي كان منحرفا عن ابن تيمية ثم اجتمع به فأحبّه وتلمذ له وكتب مصنفاته وبالغ في التعصب له،توفي سنة (٧٢٨هـ) انظر: الدرر الكامنة (١/ ٣٥٩).

(٢) الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون (ص ٩).





كان لله يبقىٰ»(١).

قال الشوكاني: «وَلَقَد تتبعت أَحْوَال كثير من القائمين بِالْحَقِّ المبلغين بِهِ كَمَا أَمر الله المرشدين إِلَىٰ الْحق فوجدتهم ينالون من حسن الأحدوثة وَبعد الصيت وَقُوَّة الشُّهْرَة وانتشار الْعلم ونفاق المؤلفات وطيرانها وقبولها فِي النَّاس مَا لَا يبلغهُ غَيرهم وَلَا يَنَالهُ من سواهُم»(٢).

وقد اعتنىٰ طلبة العلم المعاصرون بتحقيق تراث الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وكتابة الرسائل الجامعية عنه وعن جهوده وعن علومه.

وممّن اعتنىٰ بجمع الرسائل الجامعية الشيخ عثمان بن محمد شوشان في كتابه: دليل الرسائل الجامعية في علوم شيخ الإسلام ابن تيمية، وذكر فيه (١٦٧) رسالة، وطبع عام١٤٢٤هـ. وقد سجل بعد هذا التاريخ مئات الرسائل، وقد زادت الرسائل والدراسات والبحوث عن شيخ الإسلام وعلومه علىٰ الألف رسالة وبحث.

---

(١) الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة (ص ٩).

(٢) أدب الطلب ومنتهىٰ الأدب (ص ٤٢).



والحاصل أننا نستطيع أن نقول بأن الله عز وجل جمع لابن تيمية بين القوتين، القوة العلمية والقوة العملية، وذلك أن من الناس من يكون له القوة العلمية، كما يقول ابن القيم: «كاشفة عن الطريق ومنازلها وأعلامها وعوارضها ومعاثرها، وتكون هذه القوة أغلب القوتين عليه، فيكون ضعيفا في القوة العملية يبصر الحقائق ولا يعمل بموجبها، ويرىٰ المتالف والمخاوف والمعاطب ولا يتوقاها، فهو فقيه مالم يحضر العمل، فإذا حضر العمل شارك الجهال في التخلف وفارقهم في العلم» قال: «وهذا هو الغالب علىٰ أكثر النفوس المشتغلة بالعلم، والمعصوم من عصمه الله ولا قوة إلا بالله».

قال: «ومن الناس من تكون له القوة العملية الإرادية، وتكون أغلب القوتين عليه وتقتضي هذه القوة السير والسلوك والزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة، والجد والتشمير في العمل، ويكون أعمىٰ البصر عند ورود الشبهات في العقائد، والانحرافات في الأعمال والأقوال والمقامات، كما كان الأول ضعيف العقل عند ورود الشهوات، فَدَاءُ هذا من جهله، وداء الأول من فساد إرادته وضعف عقله، وهذا



حال أكثر أرباب الفقر والتصوف السالكين علىٰ غير طريق العلم ؛ بل علىٰ طريق الذوق والوجد والعادة».

قال: «فمن كانت له هاتان القوتان استقام سيره إلىٰ الله، ورجي له النفوذ، وقوي علىٰ رد القواطع والموانع بحول الله وقوته، فإن القواطع كثيرة شأنها شأن شديد، لا يخلص من حبائلها إلا الواحد بعد الواحد، ولولا القواطع والآفات لكان الطريق معمورة بالسالكين، ولو شاء الله لأزالها وذهب بها، ولكن الله يفعل ما يريد، والوقت كما قيل سيف فإن قطعته وإلا قطعك».

ثم قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ وكأنه يصف حالنا ـ: «فإذا كان السير ضعيفا، والهمة ضعيفة والعلم بالطريق ضعيفا، والقواطع الخارجة والداخلة كثيرة شديدة، فإنه جهد البلاء ودرك الشقاء، وشماتة الأعداء إلا أن يتداركه الله برحمة منه من حيث لا يحتسب، فيأخذ بيده ويخلصه من أيدي القواطع، والله ولي التوفيق»(١).

---

(١) طريق الهجرتين (ص٢٣٣) وينظر: المداخل لآثار شيخ الإسلام (ص٢٤-٢٦).



منهجه في البحث والتأليف وميزاته

اختط شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ منهجًا متميزاً في البحث والتأليف، يظهر من خلال استقراء وتتبع مؤلفاته الكثيرة، ويمكن تلخيص ذلك فيما يلي:

أولاً: اعتماد أدلة الوحي من الكتاب والسنة وتعظيمها والتسليم لها وعدم معارضتها.

وهذه من أبرز خصائص منهجه رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إحياء منهج السلف الصالح في تعظيم النصوص والتسليم لها، وعدم التقدم أو المعارضة لها.

فمن منهجه الواضح الأصيل أنه يبرز الاستدلال بنصوص الوحي من الكتاب والسنة مبيّنا وجه الدلالة منها، وقد عاب كل من عدل عن النصوص إلىٰ الأقيسة والأذواق والآراء الفاسدة وعارضها بذلك، وشنَّ عليهم حربا ضروسا في كلّ مؤلفاته ومن أول ذلك: كتابه العظيم «درء تعارض العقل والنقل» فهو في أصله للرد علىٰ قانون الرازي الكلي في تقديم العقل عند افترا ض التعارض مع النقل.



ويقول رَحِمَهُ اللَّهُ عن نفسه: «أنا وغيري كنا على مذهب الآباء في ذلك، نقول في الأصلين بقول أهل البدع ـ يعني في أول عمره ـ فلما تبين لنا ما جاء به الرسول دار الأمر بين أن نتبع ما أنزل الله أو نتبع ما وجدنا عليه آباءنا، فكان الواجب هو اتباع الرسول، وألا نقول ممن قيل فيه ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [لقمان: ٢١]، وقال تعالى: ﴿قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ ...﴾ [الزُّخرُف: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ١٤ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ﴾ [لقمان: ١٥](١).

ويقول: «لو خالف العبد جميع الخلق واتبع الرسول ما سأله عن مخالفة أحد»(٢).

---

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ٢٥٨).

(٢) المصدر نفسه (١٦/ ٥٢٩).



ثانيا: تمييز الأدلة وفحصها، وتمييز الحديث الصحيح من الضعيف والاعتماد علىٰ الصحيح منها فقط.

يقول البزار: «وتراه في جميع مؤلفاته إذا صح الحديث عنده يأخذ به، ويعمل بمقتضاه، ويقدمه علىٰ قول كل قائل من عالم ومجتهد، وإذا نظر المنصف إليه بعين العدل يراه وقّافا مع الكتاب والسنة، لا يميله عنهما قول أحد كائنا من كان، ولا يراقب في الأخذ بعلومهما أحدا، ولا يخاف في ذلك أميرا ولا سلطانا ولا سوطا ولا سيفا، ولا يرجع عنهما لقول أحد»[١].

ثالثًا: الاستدلال بالإجماع إذا كان في المسألة إجماع، وقد قام مجموعة من الباحثين بتتبّع وجمع المسائل التي حكىٰ فيها الإجماع علىٰ مسائل الاعتقاد [٢] ومسائل الأحكام.

---

(١) الأعلام العلية (ص٧٨٧) الطبعة الجديدة المطبوعة ضمن العقود الدرية.

(٢) ومن ذلك كتاب: المسائل العقدية التي حكىٰ فيها شيخ الإسلام الإجماع ـ جمعا ودراسة ـ، للباحثين: خالد الجعيد وعلي العلياني وناصر الجهني، مطبوع ضمن سلسلة الرسائل الجامعية. الصادرة عن =



رابعًا: تقديم أقوال الصحابة رضوان الله عليهم وفهمهم للنصوص علىٰ من سواهم، وتقديم فهم سلف الأمة وأئمتها علىٰ غيرهم.

فكان يكثر من النقل عن الصحابة وعن الأئمة الأعلام المتقدمين والاستشهاد بها، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن المجيب ـ ولله الحمد ـ لم يقل قط في مسألة إلا بقول سبقه إليه العلماء، فإن كان قد يخطر له ويتوجه له فلا يقوله وينصره إلا إذا عرف أنه قد قاله بعض العلماء، كما قال الإمام أحمد: إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام»[1].

وقد بيَّن أن العدول عن فهم الصحابة والتابعين للنصوص هو أصل الضلال والانحراف فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أصل وقوع أهل الضلال في مثل هذا التحريف الإعراض عن فهم كتاب الله تعالىٰ كما فهمه الصحابة والتابعون، ومعارضة ما دل عليه بما يناقضه، وهذا من أعظم المحادّة لله ولرسوله ﷺ

=

دار الفضيلة ودار الهدي النبوي.

(١) الأخنائية (ص٤٥٨) وينظر مجموع الفتاوىٰ (٢١/ ٢٩١).





، لكن علىٰ وجه النفاق والخداع»[١].

خامسًا: الإكثار من الأدلة المتنوعة الأخرىٰ.

فالغالب علىٰ ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تآليفه أن يكون «قائلا لا ناقلا»[٢] إلا أنه من عادته رحمه الله تعالىٰ أن يكثر من الأدلة المتنوعة علىٰ المسألة التي يريد تقريرها وخاصة المسائل الخلافية.

ومع ما تقدم من كثرة استدلاله من الأدلة الأصلية من الكتاب والسنة واعتماد فهم الصحابة والأئمة وأقوالهم فهو يكثر أيضا من:

١- الاستدلال بالقياس والتنظير وهو من الأدلة العقلية.

٢- الاستدلال بالقواعد الفقهية والعقدية، وينشئ من عنده قواعد يستدل بها، وقد جمع بعض الباحثين القواعد التي ذكرها ابن تيمية رحمه الله تعالىٰ في الأسماء

(١) درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٣٨٣).

(٢) المداخل، أبوزيد (ص٤٧).





والأحكام(١) وفي الرد علىٰ المخالف(٢)

وغيرها من المسائل.

٣- كثرة استخدامه لعلوم الآلة، فيكثر من استخدام أصول الفقه، ومن النحو في الموارد التي يحتاجها أو ما يحتاجه من كلام المناطقة والمتكلمين فيما يريد تقريره، أو الرد علىٰ المخالفين.

سادسًا: اللجأ إلىٰ الله تعالىٰ والاستعانة به تعالىٰ، عند استصعاب المسائل والترجيح بينها.

يقول عنه تلميذه ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وشهدته إذا أعيته المسائل واستصعبت عليه فرّ منها إلىٰ التوبة والاستغفار،

---

(١) الزميل د. محمد بن بسيس السفياني في رسالته الماجستير بعنوان: قواعد الأسماء والأحكام عند شيخ الإسلام ابن تيمية، وطبعه مركز التأصيل للدراسات والنشر بجدة.

(٢) الزميل د. حمدي بن حميد القريقري في رسالته الدكتوراه بعنوان: قواعد ابن تيمية في الرد علىٰ المخالفين اليهود النصارىٰ الفلاسفة الفرق الإسلامية.



والاستغاثة بالله، واللجوء إليه واستنزال الصواب من عنده والاستفتاح من خزائن رحمته، فقلما يلبث المدد الإلهي أن يتتابع عليه مدًّا، وتزدلف الفتوحات الإلهية إليه بأيتهن يبدأ»

قال ابن القيم معلقا: «ولا ريب أن من وفق لهذا الافتقار علماً وحالاً، وسار قلبه في ميادينه بحقيقة وقصد، فقد أعطي حظه من التوفيق. ومن حُرِمَه، فقد منع الطريق والرفيق»[١].

وتقدم لجوؤه إلىٰ الاستغفار عند استغلاق المسائل.

سابعًا: استعماله في كل فنّ مصطلحاته الخاصة به.

لأن لكل أهل فنّ مصطلحاتهم في ذلك الفن، وهو ما يسميه العلماء بـ«اللغة العرفية» فإذا تكلّم في مسألة فقهية استخدم كلام ومصطلحات أهل الفقه ــ لغة الفقهاء ــ وإذا تكلم في مسألة عقدية أو أصولية أو لغوية أو نحوية استخدم لغة ذلك الفن، وإذا تكلم مع أهل السلوك والصوفية استخدم مصطلحاتهم ومع المتكلمين والفلاسفة يستخدم ذلك المصطلح، بل يرىٰ تعدي ذلك إلىٰ مخاطبة العجم بلغاتهم،

---

(١) إعلام الموقعين (٤/ ١٧٢).



يقول رحمه الله تعالىٰ: «وأما مخاطبة أهل الاصطلاح بمصطلاحتهم ولغتهم فليس بمكروه إذا احتيج إلىٰ ذلك، وكانت المعاني صحيحة كمخاطبة العجم من الروم والفرس والترك بلغتهم وعرفهم فإن هذا جائز حسن للحاجة»(١).

واستعمال مصطلحات المخالفين في الرد عليهم يفيد من وجوه، منها:

١- فهم المخاطب الحجة، وإقامتها عليه.

٢- الرد علىٰ المخالف، ودحض شبهته.

٣- بيان أن أهل الحق متمكنون من معاني مسائلهم وعرضها بأي أسلوب يقتضيه الموقف وليسوا جاهلين بمعانيها فيكون ردهم لها بناء علىٰ عدم علمهم بها كما يزعمه بعضهم.

وقد استعمل شيخ الإسلام هذا الأسلوب كثيرا في مصنفاته، لكن لا بد من تحديد المعنىٰ الذي يعنيه ذلك

---

(١) ابن القيم الجوزية حياته وآثاره موارده، بكر أبو زيد (ص١٠٣).





المصطلح؛ لأن أكثر اختلاف العقلاء من جهة اشتراك الأسماء وعدم تحرير المصطلحات كما قرر ذلك ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ نفسه، وقال: «من أعظم أسباب الغلط في فهم كلام الله أن ينشأ الرجل على اصطلاح حادث فيريد أن يفسّر كلام الله بذلك الاصطلاح الحادث ويحمله على اللغة التي اعتادها»(١).

ثامنًا: التأصيل والاستطراد التناسبي والتكرار المفيد.

وهذا يؤدي إلى تنوع الفوائد في المسألة الواحدة، فيجعلها كالمائدة التي عليها ألوان الطعام الشهي، كل يأخذ منها ما لذّ له وطاب.

والتأصيل يذكر فيه أصل المسألة وصورتها وحكمها.

والاستطراد عنده عادة إما أن يكون:

١ - نقلا للأقوال المؤيدة لكلامه.

٢ - أو نقلا للنظائر التي تدل على صحة أو ترجيح قوله،

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ١٠) و(١٩/ ١٤٠).





وأنه لا يسوغ القول بغيره في بعض المسائل.

٣- وإما لبيان أقوال المخالفين في المسألة والرد عليهم.

والاستطراد التناسبي ليس كل عالم يستطيعه، ولا كل مؤلّف يطيقه، فهو لا يأتي إلا من أكابر الحفاظ وأوعية العلم التي تموج قرائحهم وأذهانهم بشتىٰ العلوم والمعارف. (١)

وينبغي لقارئ كتب ابن تيمية أن يتنبه للتفريق بين التأصيل والاستطراد، فيخطئ بعضهم فينقل من استطراداته وما ينقله عن غيره ما يظنه من تأصيله وكلامه، فينسب إليه ما لم يقله.

مثل نسبة مقولة «الأشعرية أنصار أصول الدين والعلماء أنصار فروع الدين» إلىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية نسبها الشيخ الصابوني وغيره، مع أن المقولة لأبي محمد والد إمام الحرمين وهي مما نقله شيخ الإسلام عنه، ونص علىٰ ذلك بقوله: ورأيت في فتاوىٰ الفقيه أبي محمد فتوىٰ طويلة... قال فيها: فذكره... فنسبت لابن تيمية خطأً.

---

(١) درء التعارض (١/ ٤٣).



وأحيانًا يدرج في كتبه ما ليس من كلامه مثل ما أُدرج في الحموية بعد نقده لعبارة (طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم)، فأضيف في بعض النسخ ـ وهي في مجموع الفتاوىٰ ـ (وإن كانت هذه العبارة إذا صدرت من بعض العلماء قد يعني بها معنىٰ صحيحًا).

وقد حقق فضيلة الشيخ د. حمد التويجري أن هذه العبارة مقحمة ومدرجة وليست من كلام ابن تيمية ولا في تسع نسخ من نسخ الحموية التي قابل عليها. ينظر التعليق (ص١٨٥) من تحقيقه للفتوىٰ الحموية الكبرىٰ.

ومن عجيب صنيعه رحمه الله تعالىٰ وحرصه علىٰ الجود بالعلم ونفع الناس أنه ـ كما يقول ابن القيم: «كان إذا سئل عن مسألة حُكميَّة ذكر في جوابها مذاهب الأئمة الأربعة إذا قدر، ومأخذ الخلاف وترجيح القول الراجح، وذكر متعلقات المسألة التي ربما تكون أنفع للسائل من مسألته، فيكون بتلك المتعلقات واللوازم أعظم فرحة بمسألته..» قال: «فمن جود الإنسان بالعلم أنه لا يقتصر علىٰ مسألة السائل، بل يذكر





نظائرها ومتعلقها ومأخذها بحيث يشفيه ويكفيه»(١).

أما التكرار فإنه يوجز الكلام علىٰ المسألة في موضع أو مواضع، ويبسطه في موضع آخر.. ويكثر دائما من قوله ـ وقد بسطنا الكلام علىٰ المسألة في موضع آخر ـ أو نحوها.

وتكون زبده كلامه وتقريره فيما اختصره، أما ما طوَّله ففيه تفصيل كلامه والاستدلال له والتنظير والرد علىٰ المخالف وغير ذلك من الأغراض.

والتكرار قد يراه بعض الناس عيبا ومذمة، ولكن المتأمل لكتاب الله تعالىٰ يجد هناك تكرارا مفيدا وخاصة في قصص الأولين وبعض الأحكام، وذلك لحكم وأسرار عظيمة لمن تأملها كزيادة الإيمان والتثبيت وتأكيد العظة والاعتبار، وتأكيد الأحكام بتثبيتها وإزالة ما قد يعلق بالأفهام من أوهام، وغير ذلك من الأسرار.. وكذلك نجد هذا المسلك عند علماء السنة المتقدمين كالبخاري رحمه الله، يكرر الحديث الواحد في مواضع مختلفة لاعتبارات مختلفة.

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٢٩٣).





ولذا؛ فإن التكرار عند المحققين من أهل العلم، إذا لم يكن عن ذهول وعفو خاطر، فإنه مما يدل علىٰ دقة في الفقه ومقاصد شريفة.[١]

تاسعًا: تنوع تواليفه بين مختصرات ومطولات، وغالب المختصرات للتقرير والمطولات للردود ولا تفهم المطولات إلا بعد استيعاب المختصرات، ومن الأمثلة علىٰ ذلك:

- الواسطية جعلها مختصرة لتقرير معتقد أهل السنة والجماعة، فيقرر المسألة مدلِّلا عليها بالأدلة الشرعية في لغة سهلة وواضحة من غير خوض في المجادلات والردود الكلامية.

- الحموية: أكثر فيها من الاستطرادات والنقول من كلام أهل العلم المتقدمين، وإن كان لا يرضىٰ كل ما قرروه؛ وإنما ذكر ذلك للتّدليل علىٰ أنه ليس بدعا فيما قرره وإنما هو كلام السلف والعلماء المتقدمين.

---

(١) ابن القيم الجوزية. حياته وآثره وموارده (ص١٢٤).



- التدمرية لتقعيد القواعد والأصول للرد على المخالفين.

عاشراً: احتوى كلامه ـ كغيره ـ على عبارات مشكلة ومتشابهة لا يظهر معناها، وعلى كلام محكم واضح المعنى، وهو الغالب على مؤلفاته.

والقاعدة في ذلك أن يُردّ المتشابه والمشكل إلى المحكم ويفهم على ضوئه، وهذا منهج الراسخين في العلم الباحثين عن الحق، أما أهل الأهواء الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون المشكل والمتشابه من كلامه، إما للاستدلال به على هواهم، وأن ابن تيمية يقول بمثل ما يقررونه هو، وإما للتشنيع على ابن تيمية والطعن عليه كدعوى بغضه لآل البيت ونحوها من المشاغبات.

والغالب أن المشكل والمتشابه عنده يكون في الاستطرادات، والمعين في حل ذلك المشكل ـ إضافة إلى الرجوع إلى محكم كلامه ـ هو الرجوع إلى كلام تلميذه ابن القيم رحمه الله، فقد حلّ كثيرا من مشكلات كلام شيخه



رحمهما الله، فكلام ابن القيم يتميّز بسهولة العبارة والترتيب والتفريع، حتىٰ قال الشيخ عبدالرزاق عفيفي رَحِمَهُ اللَّهُ فيما نقل عنه: «إن ابن تيمية يأتي إلىٰ جدار الباطل فيلطمه حتىٰ يتهدم ويسقط، أما ابن القيم فيأخذ هذا الجدار حجرا حجرا فيكسره إلىٰ أشلاء.. ـ أو نحو هذه العبارة ـ[(١)].

الحادي عشر: الشمول والتنوع في أنواع العلوم، واستيعابه لمختلف الفنون وتوظيفها في تقريراته العلمية، وهذا ما جعل له من القوة العلمية والتحقيق ما يضيّق به الخناق علىٰ من أراد مخالفته والرد علىٰ استدلاله، وقد بلغت موارده العلمية أكثر من (٦٦٧) موردا.

يقول عنه ابن سيد الناس: «كان يستوعب السنن والآثار حفظا، إن تكلم في التفسير فهو حامل رايته، أو أفتىٰ في الفقه فهو مدرك غايته، أو ذاكر في الحديث فهو صاحب علمه وذو روايته»[(٢)] وكذلك التاريخ والسير والنحو والأصول،

---

(١) نقله عنه معالي الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله.

(٢) العقود الدرية (ص٧٢) والذيل علىٰ طبقات الحنابلة (٤/ ٥٠٠).



ومقالات أصحاب الأديان والفرق والمذاهب، قال الذهبي: «نظر في العقليات وعرف أقوال المتكلمين ورد عليهم ونبّه علىٰ خطئهم وحذر منهم»[١] ولذا نجده إذا بحث مسألة أو نازلة من النوازل استوعب الكلام فيها من جميع جوانبها بسياق الأقوال والمذاهب والآراء في المسألة، والأدلة الواردة في ذلك، وبيان وجوه الاستدلال منها، ثم يتبعها بالمناقشة والتحليل إلىٰ أن ينتهي به المطاف إلىٰ بيان القول الراجح بأدلته النّقلية والعقلية، كما تقدمت الإشارة إلىٰ ذلك في استطراداته.

الثاني عشر: حرية الاختيار والترجيح؛ فمع أن ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ معدود من الحنابلة إلا أنه كان لا يتقيد بالمذهب إذا ظهر له الدليل وترجح له خلاف المذهب، فهو يدور مع الدليل حيث دار، ويأخذ بأرجح الأقوال من المذاهب وإن خالفت مذهبه[٢]، وهذه سمة بارزة في اختياراته وترجيحاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

---

(١) الذيل علىٰ طبقات الحنابلة (٤/ ٤٩٧).

(٢) ينظر في كلامه المتقدم عن منهجه في البحث والتأليف وتحوله عما كان عليه الآباء والأجداد، منقولا عن مجموع الفتاوىٰ (٦/ ٢٥٨).





وتقدم كلامه (إني في عمري إلىٰ ساعتي هذه لم أدع أحداً قط في أصول الدين إلىٰ مذهب حنبلي وغير حنبلي، ولا انتصرت لذلك، ولا أذكره في كلامي..)(١).

الثالث عشر: عنايته بعلل الأحكام ووجوه الاستدلال.

وقد أوتي رَحِمَهُ اللَّهُ من قوة تفجير دلالات النصوص، وشقّ الأنهار منها واستخراج كنوزها ما يبهر القارئ ويلجم المخالف.

قال عنه البزار: «وأما ما وهبه الله تعالىٰ ومنحه من استنباط المعاني من الألفاظ النبوية والأخبار المروية وإبراز الدلائل منها علىٰ المسائل، وتبيين مفهوم اللفظ ومنطوقه وإيضاح المخصص للعام والمقيد للمطلق والناسخ والمنسوخ، وتبيين ضوابطها ولوازمها وملزوماتها وما يترتب عليها، وما يحتاج فيه إليها، حتىٰ إذا ذكر آية أو حديثاً وبين معانيه وما أريد منه يعجب العالم الفطن من استنباطه ويدهشه ما سمعه أو وقف عليه منه»(٢).

(١) تقدم في العنصر الثالث عشر نقلا عن مجموع الفتاوىٰ (٣/ ٢٢٧).

(٢) الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية (ص ٣٠).



الرابع عشر: عنايته بإظهار حكم التشريع، ومحاسن الشريعة والاعتزاز بها.

وهذه سمة بارزة في مؤلفاته رَحِمَهُ اللَّهُ فهو حين يذكر الحكم الشرعي يذكره علىٰ اعتبار أنه الحق الذي لا مرية فيه، وينظر إلىٰ آراء الآخرين علىٰ اعتبار أنها اجتهادات بشرية تليق بضعف البشر وعقولهم، وهذا ما ميَّز ابن تيمية عن غيره في دراسته للفلسفة وعلم الكلام والمنطق والتعمق في ذلك فكان ينظر إليها محكِّما الكتاب والسنة علىٰ اعتبار أنه المهيمن علىٰ ما عداه؛ فيحاكم اجتهادات البشر إلىٰ الوحي الرباني المعصوم؛ لذا نظر إليها نظرة الناقد لها، المبين لجواز النقص والخطأ فيها، لأنها تخبّطات بشريّة تليق بضعف عقولهم إذا ابتعدوا عن نور النبوة.

بخلاف غيره ممن درس هذه العلوم فنظر إليها نظرة إجلال وإكبار وانبهار، فاستعظمها وحاكم إليها نصوص الوحي، وجعلها هي المهيمنة، وما خالفها من النصوص فيرد أو يؤول ويحرف، فالفرق بين المنهجين أن أهل السنة ينظرون إلىٰ الأقيسة العقلية نظرة اعتضاد لا اعتماد،





فالاعتماد علىٰ نصوص الوحي فقط، والآخرون نظروا إليها نظرة اعتماد والنصوص الشرعية للاعتضاد.

الخامس عشر: عنايته بالمسائل التي يحتاجها الناس في عصره من مسائل ونوازل ومعالجة قضاياهم المعاصرة؛ مما ميّز مؤلفاته بالحيوية والجاذبية والواقعية، وتقدمت الإشارة إلىٰ ذلك في موضوعات التأليف عنده، فيقول ـ علىٰ سبيل المثال ـ في فتوىٰ سقوط شرط الطهارة في الطواف: «ولولا ضرورة الناس واحتياجهم إليها علما وعملا لما تجشمت الكلام، حيث لم أجد فيها كلاما لغيري»[١].

وهذا قيد مهم في تجشم المسائل التي لم يسبق إليها، وإلا فالأصل كما ذكر أنه لا يقول في مسألة إلا بقول قد سبقه إليه العلماء؛ لذا فإن الغالب علىٰ مؤلفاته أنها تفيض حيوية، وتتدفق حماسا لعلاج أمراض المجتمع الذي يعيش فيه، في عقيدته وعبادته وأخلاقه وسلوكه، فما من مسألة يتناولها إلا ويربطها بما يحتاج إليه القارئ، ويظهر فيها النصح والتوجيه

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٢٦/ ٢٤١).



والإرشاد، وشاهد ذلك أن غالب مؤلفاته أجوبة وردود علىٰ مسائل مطروحة، كما تقدم.

السادس عشر: بروز معالم الجهاد بالقلم والإصلاح، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم، والغيرة علىٰ الدين ودعوة الناس إليه وحثهم علىٰ الاستقامة وعلىٰ الطاعة ومحبة ذلك منه لهم، وأنه لا يحب لهم إلا ما يحب لنفسه،مما كسا أسلوبه عبارات الحيوية والواقعية وملامسة احتياجات وقته وتنزيل الأحكام علىٰ قضايا عصره، وفي هذا يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الواجب شيء والواقع شيء، والفقيه من يطبق بين الواقع والواجب، وينفذ الواجب بحسب الاستطاعة، لا من يلقي العداوة بين الواجب والواقع، فلكل زمان حكم»(١).

السابع عشر: الجاذبية في أسلوبه وبيانه وحسن ترتيبه.

وهذا مما يميز مؤلفات ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فيظهر فيها جمال الترتيب وحسن السياق وجزالة العبارة وقوة المعاني وتنوع

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين ت مشهور (٦/ ١٣٩).



الفتوىٰ والأدلة والإبداع في التنظيم، فهو يأخذ بقارئه يتنقل متلذذا بين أفياء الشريعة ومحاسنها، ومختلف فنونها وعلومها، لا يملّ قارؤه مهما طالت القراءة، وقد ظهر هذا التنظيم والترتيب جليا في مثل منهاج السنة، والصارم المسلول، والجواب الصحيح واقتضاء الصراط المستقيم وغيرها، ولذا قال عنه تلميذه ابن عبد الهادي: «كانت له اليد الطولىٰ في حسن التصنيف وجودة العبادة والترتيب والتقسيم والتبيين»(١).

الثامن عشر: بروز ظاهرة التواضع.

وهذا مسلك العلماء الربانيين الراسخين فإن من أجل ثمار العلم الراسخ:

١ – تقوىٰ بينه وبين الله تعالىٰ.

٢ – وزهد بينه وبين الدنيا.

٣– ومحاسبة بينه وبين نفسه.

٤ – وتواضع بينه وبين الخلق.

(١) العقود الدرية (ص١٣) الطبعة الجديدة.



وهذا التواضع والبعد عن الثناء علىٰ النفس والتمدّح بما يقوم به، بل هذه الخصال الأربع كلها ظاهرة جدا في مؤلفات ابن تيمية، كما هي واضحة في سلوكه وتعامله مع الآخرين، كما تقدم في العنصر السادس من عناصر القوة.

ويلخص كل ما تقدم من أخلاقه وصفاته تلميذه ابن عبد الهادي فيقول: «لم يبرح شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ في ازدياد من العلوم وملازمة الاشتغال والإشغال، وبثّ العلم ونشره، والاجتهاد في سبيل الخير حتىٰ انتهت إليه الإمامة في العلم والعمل، والزهد والورع، والشجاعة والكرم، والتواضع والحلم، والإنابة والجلالة والمهابة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسائر أنواع الجهاد مع الصدق والعفة والصيانة وحسن القصد والإخلاص، والابتهال إلىٰ الله وكثرة الخوف منه، وكثرة المراقبة له، وشدة التمسك بالأثر، والدعاء إلىٰ الله وحسن الأخلاق، ونفع الخلق والإحسان إليهم، والصبر علىٰ من أذاه والصفح عنه والدعاء له وسائر أنواع الخير..»[١].

(١) العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (ص ٢٢).



الخاتمة

في نهاية هذه العناصر لعلي أشير إلىٰ شيء من الدروس من هذه العناصر، وفي كل عنصر منها دروس كثيرة، لكن من أهمها:

أولها: أنه بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين، فما نال ما نال إلا من آثار التقوىٰ واليقين والصبر والجهاد والمجاهدة كما قال يحي بن أبي كثير: «لا يستطاع العلم براحة الجسم»[(١)].

الثاني: أن أعظم أسباب الفوز والنصر هو الزهد في الدنيا و المناصب و ما فيها، ولذلك قالوا كما جاء في الأثر: «ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس»[(٢)].

---

(١) رواه مسلم- كتاب المساجد- باب أوقات الصلوات الخمس ٦١٢ (١/ ٤٢٨).

(٢) رواه ابن ماجه في سننه-كتاب الزهد- باب الزهد في الدنيا ٤١٠٢(٢/ ١٣٧٣) وحسنه النووي في «الأربعون النووية (ص٩٦)» كما أخرجه الحاكم في المستدرك علىٰ الصحيحين (٤/ ٣٤٨) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وصححه الألباني: انظر حديث رقم: =



الثالــث: أن الابـتلاء مــن ســنن الله تعــالىٰ في أوليائــه، والمحن تنقلب منحا بإذن الله إذا كانت في جنب الله عز وجل.

الرابع: يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنما يجد المشقة في تـرك المألوفـات والعوائـد مـن تركهـا لغيـر الله، أمـا مـن تركهـا لله صادقا مخلصا من قلبه فإنه لا يجد في تركها مشقة إلا في أول وهلة ليمتحن أصادق هو في تركها أم كاذب، فإن صبر علىٰ تلك المشقة قليلا استحالت لذة»(١).

الخـامس: إن طريـق الإصـلاح شـاقٌّ وطويـل، محفـوف بالمخـاطر والأذايـا والمكـاره فـلا بـد للـداعي مـن الـصبر والتحمل وتوطين نفسه لذلك.

ثم أما بعد:

فهـذه مواقـف طرحناهـا لـيس تعـصبًا ولا تقديـسًا، ولا ادعـاء عـصمة لأحـد، فالعـصمة إنمـا هـي لأنبيـاء الله ورسـله

=

(٩٢٢) في صحيح الجامع.

(١) الفوائد لابن القيم (ص ١٠٧)



صلىٰ الله عليهم وسلم، الذين خصهم الله تعالىٰ بذلك، ولكن الله سبحانه وتعالىٰ استزرع أقواما جعلهم منارات لهذا الدين يُقتدىٰ بهم ويتأسّىٰ بالصالح من أعمالهم ومواقفهم، ويُسار علىٰ هديهم في سبيل الإصلاح والدعوة لهذا الدين ونشره من غير تعصب ولا تقليل من شأن غيرهم، والرجال إنما يقاسون بالمواقف لا بالأسماء والشعارات والأوصاف التي ليس لها في الواقع نصيب.

فهذه الوقفات في التنبيه علىٰ بعض عناصر القوة عند ابن تيمية رحمه الله تعالىٰ الذي لا زلنا نحن وبيننا وبينه هذا الأمد الطويل من الزمن لا زلنا عالة نحن وغيرنا من طلبة العلم علىٰ كتبه ومؤلفاته وتحقيقاته رحمه الله تعالىٰ.

وهذه العناصر منها ما هو أمر جبلي جبله الله سبحانه وتعالىٰ عليه ووهبه الله إياه فاستثمر ذلك فيما ينفعه، والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم، ومنها ما هو مكتسب، والعبد لو استثمر ما وهبه الله عز وجل من قوة وبذل وسعه في تحصيل المكتسب، فإن الله عز وجل قد وعد ووعده الحق والصدق: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ





وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وقال ﷺ: «**احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز**».

وهذه العناصر المختلفة من عناصر القوة التي يندر اجتماعها في شخص واحد ما هي إلا ثمرة من ثمرات حُسن التأسي والاقتداء الحقيقي بهدي نبينا ﷺ، ثم بصحابته الكرام رضوان الله عليهم وسلف وأئمة هذه الأمة المباركة، فبقدر قُرب العبد من ذلك التأسي والاقتداء يرتفع شأنه وتعلو همته وتحسن أخلاقه وتعامله، وتتعدد عناصر القوة فيه بقدر قربه وتحقيقه لهذا الاتباع. والله المستعان.





فهرس الموضوعات



الموضوع **الصفحة**





الموضوع	الصفحة





الموضوع	الصفحة





هذا الكتاب منشور في

